بكلام مسموع ، وذكرت أنه نادى الكليم ، وكذا نادى الأبوين في الجنة ، وأنه ينادي الخلق يوم المعاد ، وتقول : إن الله قال ، وقائل ، ويقول ، ولا يمكن قول بلا حرف ولا صوت ولا شفة ولا لسان ، فإذا نحن لم ننف ما قلته في الرحمن وقعنا في التشبيه والتجسيم ، ولـــكن لو لم تقل : فوق السماء ، ولم تشر إليـه الإشارة الحسية ، ولم تنطق بالأحاديث التي صرحت بالفوقية ، وذكرت أن الله ليس بداخل العالم ولا خارجـــه ، كنا انتصفنا من المجسمة وكانوا لنا أسرى ، ولكنك منحتهم سلاحاً كلمـا شاؤوا طاعنونا به أشد المطاعنة ، وغدوا يرموننا بتلك الأسهم التي أعطيتهم ، وصرنا لهم غرضاً بكل مكان . والغرض قال في « القاموس » الغرض محركة : هدف يرمى فيه جمعه أغراض ، فلو كنت عدلت بيننا في العبارة لم يوجد بيننا رجفان : قال في « القاموس » رجف حرك وتحرك واضطرب شـــديداً رجفا ورجفانا ورجوفا ورجيفا .

قوله : هذا لسان الحال منهم ... الخ ؛ أي : إنهم يقولون هذا بلسان حالهم . ولكنه مكتوم في صدورهم مغلول ، ومع ذلك فهو يبدو على فلتات ألسنتهم ، ويرى في صفحات وجوههم ، لا سيما إذا قرىء الحديث عليهم ، وتلي شاهده من القرآن ، فهناك بين (النازعات) و (كورت) ، أي إنك إذا قرأت عليهم الحديث وتلوت مايصدقه من القرآن تلونت وجوههم فتارة تظلم ، وتارة تصفر وتغير كحالة من في نزع الموت . والنازعات في قوله تعالى (والنازعات غرقا) النازعات : ١ هي الملائكـة التي تنزع أرواح العباد عن أجسادهم على قول أكثر المفسرين . وقوله تعـــالى : (إذا الشمس كورت) التكوير : ١ قال ابن عباس : أظلمت . وقـــال مقاتل والكلبي : ذهب ضوؤها . وقال مجاهد : اضمحلت . وقيل : غورت ، والله أعلم .

قوله: ويكاد قائلهم يصرح. أي: بما في نفسه لو يرى قابلًا، بل ذكر شيخ الاسلام في بعض رسائله أن بعض من خاطبه صرح بأنه لا يقبل من الرسول ﷺ ما يقوله في هذا الباب.

قال الناظم رحمه الله تعالى:

ياقوم شاهدنا رؤوسكمُ على هـذا ولم نشهده من إنسان
إلا وحشو فؤاده غل على سنن الرسول وشيعة القرآن

أي إنا رأينا رؤوسهم على هذا الذي ذكرناه، ولم نشهده من أحد إلا وفؤاده محشو غلًا على سنن الرسول ﷺ وشيعة القرآن.

قال الناظم رحمه الله تعالى:

وهو الذي في كتبهم لكن بلطـف عبارة منهم وحسن بيان
وأخو الجهالة نسبة للفظ والـمعنى فنسب العالم الرباني

يقول الناظم: إن هذا الذي ذكرناه عنهم هو الذي في كتبهم، لكنهم يلطفون العبارة ويحسنون الكلام، ولكن الجاهل نسبه للفظ والمعنى، فنسب العالم الرباني؛ أي: أن العالم الرباني نظره إلى ما يتضمنه اللفظ، وأما الجاهل فنظره مقصور على اللفظ.

وقوله: نسبة. بفتح النون وإسكان السين، وضم الباء؛ أي: أن العالم ينسب الى المعاني، وأما الجاهل فهو ينسب إلى الألفاظ، فهو دائر معها. ثم اعتذر الناظم عما لعله ينسبه من لا علم عنده الى الحيف عليهم فيما نسبه اليهم، فقال:

يامن يظن بأننا حفنا عليهم كتبهم تنبيك عن ذا الشان

أي : ظلمناهم وجرنا عليهم. قال في « القاموس » الحيف : الجور ، والظلم

فانظر ترى لكن نرى لك تركها حذراً عليك مصائد الشيطان

فشباكها والله لم يعلق بها من ذي جناح قاصر الطيران

ألا رأيت الطير في قفص الردى يبكي له نوح على الأغصان

ويظل يخبط طالباً لخلاصه فتضيق عنه فرجة العيدان

والذنب ذنب الطير خلى أطيب الثمرات في عال من الأفنان

وأتى الى تلك المزابل يبتغي الفضلات كالحشرات والديدان

ياقوم والله العظيم نصيحة من مشفق وأخ لكم معوان

جربت هذا كله ووقعت في تلك الشباك وكنت ذا طيران

يقول الناظم رحمه الله : يامن يظن بأنا حفنا عليهم ؛ أي : على النقاد.

أي : جرنا عليهم وظلمناهم ، كتبهم تنبئك عما ذكرنا ، وقد أثقلت ظهر البسيطة ، فطالعها إن شئت ، لكن نرى لك تركها حذراً عليك أن تصيدك شبههم الشيطانية ، فكم وقع في تلك الشباك من قاصر الطيران ، فتراه عند وقوعه في تلك المصائد حائراً ندماناً يبكي لوقوعه في مهامه الحيرة والشكوك ، وكل هذا على طريق النصح من الناظم ، فجزاه الله تعالى خير الجزاء ، عملاً بقوله ﷺ « الدين النصيحة »[1] ثم بين أنه قد جرب ذلك ، وأنه وقع

(١) رواه مسلم في « صحيحه » عن أبي رقية تميم بن أوس الداري رضي الله عنه .

في بعض تلك الشباك والمصائد حتى أتاح له المولى بفضله من أوضح له تلك الشبه ، وأزاح عنه تلك الشكوك ، وهو شيخ الاسلام ، وأشار الى ذلك بقوله

حتى أتاح لي الإله بفضله ... من ليس تجزيه يدي ولساني

حبر أتى من أرض حران فيا ... أهلاً بمن قد جاء من حران

فالله يجزيه الذي هو أهله ... من جنة المأوى مع الرضوان

أخذت يداه يدي وسار فلم يرم ... حتى أراني مطلع الايمان

ورأيت أعلام المدينة حولها ... نزل الهدى وعساكر القرآن

ورأيت آثاراً عظيماً شأنها ... محجوبة عن زمرة العميان

ووردت رأس الماء أبيض صافياً ... حصباؤه كاللؤلؤ التيجان

ورأيت أكواباً هناك كثيرة ... مثل النجوم لوارد ظمآن

ورأيت حوض الكوثر الصافي الذي ... لازال يشخب فيه ميزابان

ميزاب سنته وقول إلهه ... وهما مدى الأيام لاينيان

والناس لايردونه إلا من الـ ... ـآف أفراداً ذوو ايمان

وردوا عذاب مناهل أكرم بها ... ووردتم أنتم عذاب هوان

قوله : حران . قال في « القاموس » : حران كشداد : موضع بالشام ، والنسبة حرناني ، ولا تقل : حراني وان كان قياساً .

قوله : حتى أتاح لي الإله بفضله الخ . قال في « القاموس » تاح له الشيء

يتيح : يتهيأ انتهى . وكم أنقذ الله بشيخ الاسلام ومصنفاته العظام من حيرة تلك الشبهات والأضاليل ، وكاد يخرج بها عن سواء السبيل .

قال الشيخ الامام أبو حفص عمر بن علي البزاز أحد تلامذة شيخ الاسلام في ترجمته : حدثني غير واحد من العلماء الفضلاء النبلاء الممعنين بالخوض في أقاويل المتكلمين لاصابة الصواب ، وتمييز القشر من اللباب : إن كلاً منهم لم يزل حائراً في تجاذب أقوال الأصوليين ، ومعقولاتهم ، وإنه لم يستقر في قلبه منها قول : ولم يبن له من مضمونها حق ، بل رآها كلها موقعة في الحيرة والتضليل ، وجلها مذعن بتكافىء الأدلة والتعطيل ، وإنه كان خائفاً على نفسه من الوقوع بسببها في التشكيك والتعطيل ، حتى من الله عليه بمطالعة مؤلفات هذا الامام أحمد بن تيمية شيخ الاسلام ، بما أورده من النقليات والعقليات في هذا النظام . فماهو إلا أن وقف عليها وفهمها ، فرآها موافقة للعقل السليم ، وعلمها حتى انجلى ما كان قد غشيه من أقوال المتكلمين من الظلام ، وزال عنه ما خاف أن يقع فيه من الشك ، فظفر بالمرام . انتهى .

قوله : ورأيت أكواباً ، هي جمع كوب ، وهي أقداح بلا عرى

وقوله : وردوا عذاب الخ ... بكسر العين . وعذاب هوان بالفتح ؛ أي : وردوا المناهل الحلوة العذبة من الكتاب والسنة ، ووردتم الشكوك والحيرة ، وهي العذاب بعينه ، بل ربما تفضي الى العذاب الأكبر ، نعوذ بالله من موجبات غضبه .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فبحق من أعطاكم ذا العدل والـ إنصاف والتخصيص بالعرفان

من ذا على دين الخوارج بعدذا أنتم أم الحشويه ماتريان ؟

والله ما أنتم لدى الحشوي أهـــلاً أن يقـــدّمكم على عثمان
فضلاً عن الفاروق والصدّيق فضـلا عن رسول الله والقرآن
والله لو أبصرتم لرأيتم الـــحشوي حامل راية الإيمان
وكلام رب العالمين وعبده في قلبه أعلى وأكبر شان
من أن يحرّف عن مواضعه وأن يقضى له بالعزل عن إيقان
ويرى الولاية لابن سينا أو أبي نصر أو المولود من صفوان
أو من يتابعهم على كفرانهم أو من يقلدهم من العميان
ياقومنا بالله قوموا وانظروا وتفكروا في السر والاعلان
نظراً وإن شئتم مناظرة فمن مثنى على هذا ومن وحدان
أي الطوائف بعد ذا أدنى إلى قول الرسول ومحكم القرآن
فإذا تبين ذا فإما تتبعوا أو تعذروا أو تؤذنوا بطعان

أقسم الناظم على النفاة بحق الله الذي أعطاهم العدل والانصاف ، وهذا على طريق التهكم ؛ أي : إذا سمعتم ما تقدم، فهل أنتم مثل الخوارج أو أعظم منهم مضرة على الدين ، أم المنبوذ عندكم بالحشو ؟ ثم أقسم قسماً آخر : انكم لستم بأهل أن يقدمكم على عثمان رضي الله عنه، فضلًا عن الفاروق والصديق، فضلًا عن رسول الله والقرآن ؟ وان كلام رب العالمين وعبده أعلى في قلبه من أن يحرفـــه عن مواضعه ، وأن يرميه بأنها نصوص لفظيـة لا تفيد اليقين ، ويرى الولاية لابن سينا أو أبي نصر ، هو الفارابي ، أو المولود من صفوان ، وهم الجهم .

فصل

في تلقيبهم أهل السنة بالحشوية وبيان من أولى بالوصف المذموم من هذا اللقب من الطائفتين ، وذكر أول من لقب به أهل السنة من أهل البدعة :

ومن العجائب قولهم لمن اقتدى ... بالوحي من أثر ومن قرآن
حشوية يعنون حشواً في الوجـــود وفضلة في أمة الانسان
ويظن جاهلهم بأنهم حشوا ... رب العباد بداخل الاكوان
إذ قولهم فوق العباد وفي السما ... ء الرب ذو الملكوت والسلطان
ظن الحمير بأن في للظرف والـــ ... ـرحمن محويٌّ بظرف مكان
والله لم يسمع بذا من فرقة ... قالته في زمن من الأزمان
لا تبهتوا أهل الحديث به فما ... ذا قولهم تباً لذي البهتان
بل قولهم إن السموات العلى ... في كف خالق هذه الأكوان
حقاً كخردلة ترى في كف ممـــ ... ـسكها تعالى الله ذو السلطان
أترونه المحصور بعد أم السما ... ياقومنا ارتدعوا عن العدوان

شرع الناظم رحمه الله في بيان عدوان النفاة ، وتلقيبهم أهـــل السنة والحديث بالالقاب الشنيعة لتنفير الطغـــام وأشباه الأنعام ، كما لقبوهم بالحشوية وغير ذلك من الألقاب الآتية . والحشوية : قال في « شرح مختصر

التحرير » سموا حشوية لأنهم كانوا يجلسون في حلقة الحسن البصري أمامه ، فلما أنكر كلامهم ، قال : ردوهم إلى حشو الحلقة ، أي جانبها . وقال ابن الصلاح : فتح الشين غلط ، وإنما هو بالإسكان ، وكذلك قال البرماوي بالسكون ، لأنه إما من الحشو ، لأنهم يقولون بوجود الحشو في كلام المعصوم ، أو نحو ذلك . ورأيت كلاماً لشيخ الاسلام في معنى الحشو فيه مخالفة لهذا.

وقد فسر الناظم معنى الحشوية بقوله : يعنون حشواً في الوجود وفضلة ... الخ أي : أن المعطلة يعنون بقولهم : حشوية ، أن المثبتة حشو في الوجود وفضلة في الناس ، وجهالهم يظنون أن معنى الحشو أنهم بقولهم : إن الله سبحانه في السماء وفوق خلقه ، قد حشوا رب العباد بالأكوان ، وهذا معنى قوله : ظن الحمير ... الخ .

قوله : ظن الحمير بأن في للظرف ، أي : إذا ظنوا أنا إذا قلنا : الله في السماء ، ففي للظرفية ، تعالى الله عن ذلك ، ولهذا قال : والله لم يسمع بذا من فرقة قالته في زمن من الأزمان . وقد صنف أبو اسحق إبراهيم بن عثمان ابن درباس الشافعي مصنفاً سماه « تنزيه أئمة الشريعة عن الألقاب الشنيعة » .

وقوله : بل قولهم : إن السموات العلى ... الخ أي : أن قول أهل السنة والحديث : إن السموات السبع في كف الرحمن جل وعلا كخردلة في كف ممسكها ، كما في « الصحيحين » من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : « يقبض الله تعالى الأرض يوم القيامة ، ويطوي السماء بيمينه ثم يقول : أنا الملك ، أين ملوك الأرض » وفي « الصحيحين » واللفظ لمسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله

ﷺ : « يطوي الله السموات يوم القيامة ، ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول : أنا الملك أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ ثم يطوي الأرضين بشماله ثم يقول : أنا الملك ، أين الجبارون » ؟ أين المتكبرون ؟ وفي لفظ في « الصحيح » عن عبد الله بن مقسم : أنه نظر إلى عبد الله بن عمر كيف يحكي النبي ﷺ قال : « يأخذ الله (عزوجل) سمواته وأرضيه بيديه ويقول: أنا الله ، ويقبض أصابعه ويبسطها ، أنا الملك ، حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه ، حتى إني أقول أساقط هو برسول الله ﷺ ؟ وفي لفظ قال : رأيت رسول الله ﷺ على المنبر وهو يقول : « يأخذ الجبار (عزوجل) سمواته وأرضيه ، وقبض بيده وجعل يقبضها ويبسطها ويقول: أنا الرحمن ، أنا الملك ، أنا السلام ، أنا المؤمن ، أنا العزيز ، أنا الجبار ، أنا المتكبر ، أنا الذي بدأت الدنيا ولم تك شيئاً ، ، أنا الذي أعيدها ، أين الملوك ؟ أين الجبارون ؟ » وفي لفظ ! « أين الجبارون؟ أين المتكبرون ؟ » ويتميل رسول الله ﷺ على يمينه وعلى شماله ، حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه ، حتى إني أقول : أساقط هو برسول الله ﷺ . ؟

والحديث مروي في « الصحيح » و « المسانيد » وغيرها بألفاظ يصدق بعضها بعضاً ، وفي بعض ألفاظه : قال : « قرأ على المنبر (والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة) الزمر : ٦٧ الآية . قال : مطوية في كفه يرمي بها كما يرمي الغلام بالكرة » وفي لفظ : « يأخذ الجبار سمواته وأرضه بيده ، فيجعلها في كفه ، ثم يقول بهما هكذا كما يقول الصبيان بالكرة : أنا الله الواحد » وقال ابن عباس رضي الله عنهما : ما السموات السبع والأرضون السبع ومافيهن وما بينهن في يد الرحمن إلا كخردلة

في يدأحدكم. قال شيخ الإسلام في كتاب «العرش» وهذه الآثار معروفة،

قال الناظم .

كم ذا مشبهة وكم حشويـــة فالبهت لايخفى على الرحمن
ياقوم إن كان الكتاب وسنة الـــمختار حشواً فاشهدوا ببيان
إنا بحمد إلهنـــا حشوية صرف بلا جحد ولا كتمان
تدرون من سمَّت شيوخكمُ بهـــذا الاسم في الماضي من الأزمان
سمي به ابن عبيد عبد الله ذا ك بن الخليفة طارد الشيطان
فورثتم عَمْراً[1] كما ورثوا العـــبد الله أني يستوي الارثان
تدرون من أولى بهذا الاسم وهـــو مناسب أحواله بوزان
من قد حشى الأوراق والأذهان من بدع تخالف موجب القرآن
هذا هو الحشوي لا أهل الحـــديث أئمة الاسلام والإيمان
وردوا عذاب مناهل السنن التي ليست زبالة هذه الاذهان
ووردتمُ القلّوط مجرى كل ذي الأوساخ والاقذار والانتان
وكسلتم أن تصعدوا للورد من رأس الشريعة خيبة الكسلان

يقول الناظم : كم ذا تنبزون أهل الإثبات بهذا البهت والكذب الصريح، فإن كان الكتاب والسنة حشوا ، فاشهدوا أنا حشوية بلا جحد ولا كتمان

---

(١) هو عمرو بن عبيد .

ونحو من هذا قولـــه رحمه الله :

فان كان تجسيماً ثبوت صفاته وتنزيهها عن كل تأويل مفتري

فاني بحمد الله ربي مجسم هلموا شهوداً واملؤوا كل محضر

قولـــه : سمي به ابن عبيد عبد الله ، أي : أول من نطق بهذا الاسم هو عمرو بن عبيد المعتزلي . قال : كان عبد الله بن عمر حشوياً ، يعني عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، وهذا معنى قول الناظم : ذاك ابن الخليفة طارد الشيطان . ومراده بالخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

وقولـــه : طارد الشيطان ، يشير إلى قوله صلى الله عليه وسلم لعمر : « ما رآك الشيطان سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك »[1] .

قولـــه : تدرون من أولى بهذا الاسم ... الخ أي : أن الأولى والأحق بهذا الاسم منه حشو الأوراق والأذهان من البدع المضلة ، والآراء المضمحلة المخالفة للقرآن والسنة ، فهذا هو الحشوي على الحقيقة ، لا أئمة الحديث وأئمة الإسلام والإيمان .

قولـــه : موجب القرآن ، هو بفتح الجيم .

قولـــه : وردوا عذاب مناهل السنن التي ليست زبالة هذه الأذهان ، أي : أن أهل الحديث والسنة وردوا مناهل السنن العذبة التي ليست زبالة الأذهان ، والزبالة : قال في « القاموس » : زبل زرعه يزبله : سمده . وككتاب : ما تحمله النحلة .

ووردتم القلوط ... الخ . سيأتي بيان القلوط في الفصل المعقود له .

---

(١) متفق عليه من حديث سعيد بن أبي وقاص رضي الله عنه بلفظ « والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكاً فجاً غير فجك » .

فصل

في بيان عداوتهم في تلقيب أهل القرآن والحديث بالمجسمة وبيان أنهم أولى بكل لقب خبيث :

كم ذا مشبهة مجسمة نوا بتة مشبّة جاهل فتان
أسماء سميتم بها أهل الحديث وناصري القرآن والايمان
سميتموهم أنتمُ وشيوخكم بهتاً بها من غير ما سلطان
وجعلتموها سبة لتنفروا عنهم كفعل الساحر الشيطان
ما ذنبهم والله إلا أنهم أخذوا بوحي الله والفرقان
وأبوا بأن يتحيزوا لمقالة غير الحديث ومقتضى القرآن
وأبوا يدينوا بالذي دنتم به من هذه الآراء والهذيان
وصفوه بالأوصاف في النصين من خبر صحيح ثم من قرآن
إن كان ذا التجسيم عندكمُ فيا أهلا به مافيه من نكران
إنا مجسمة بحمد الله لم نجحد صفات الخالق الرحمن
والله ما قال امرؤ منا بأن الله جسم يا أولي البهتان
والله يعلم أننا في وصفه لم نعو ما قد قال في القرآن

أو قاله أيضاً رسول الله فهـــو الصادق المصدوق بالبرهان

أو قاله أصحابه من بعده فهمُ النجوم مطالع الإيمان

سموه تجسيما وتشبيهاً فلســـنا جاحديه لذلك الهذيان

أي : أن النفاة والمعطلة سموا أهل الإثبات بأسماء بشعة قصداً للتنفير عنهم، فإنهم يسمونهم مشبهة ؛ أي : أنهم يشبهون الله بخلقه ، وسموهم مجسمة ، أي : يقولون بأن الله جسم ، تعالى الله عن ذلك ، وسموهم نوابت ، والنوابت هم كما قال في « القاموس » : الأغمار من الأحداث ، ونبتت لهم نابتة نشأ لهم نشأ صغار . وقد قال الإمام أبو حاتم محمد بن ادريس الحنظلي الرازي ، علامة أهل البدع ، الوقيعة في أهل الأثر ، وعلامة الجهمية ، أن يسموا أهل السنة مشبهة ونابتة ، وعلامة القدرية ، أن يسموا أهل السنة مجبرة ، وعلامة الزنادقة ، أن يسموا أهل الأثر حشوية . انتهى . نقله عنـــه الذهبي في كتاب « العلو » .

قوله لتنفروا عنهم ... الخ ؛ أي : أنهم سموا أهل الحديث بهذه الأسماء ولقبوهم بهذه الألقاب للتنفير عنهم ، وإلا فهم لم يتعدوا ما قال الله ورسوله ، ولم يقل أحد منهم : إن الله تعالى جسم ، جل عن ذلك ، ومع ذلك فأهل الأثبات لما أثبتوا ما أثبته الله ورسوله لنفسه من غير تحريف ولا تعطيل ولا تمثيل ، وإن سمت المعطلة ذلك تشبيهاً وتجسيماً ، فأهل الإثبات لا يجحدونه لأجل تشنيعاتهم وهذيانهم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

بل بيننا فرق لطيف بل هو الـــفرق العظيم لمن له عينان

إن الحقيقة عندنا مقصودة بالنص وهو مراده التبيان
لكن لديكم فهي غير مرادة أنى يراد محقق البطلان
فكلامه فيما لديكم لا حقيقة تحته تبدو الى الأذهان
في ذكر آيات العلو وسائر الـ أوصاف وهي القلب للقرآن
بل قول رب الناس ليس حقيقة فيما لديكم ياأولي العرفان
وإذا جعلتم ذا مجازاً صح ان ينفى على الأطلاق والامكان
وحقائق الألفاظ بالعقل انتفت فيما زعمتم فاستوى النفيان
نفي الحقيقة وانتفاء اللفظ إن دلت عليه فحظكم نفيان
ونصيبنا اثبات ذاك جميعه لفظاً ومعنى ذاك اثباتان
فمن المعطل في الحقيقة غيركم لقب بلا كذب ولا عدوان
وإذا سببتم بالمحال فسبنا بأدلة وحجاج ذي برهان
تبدي فضائحكم وتهتك ستركم وتبين جهلكم مع العدوان
يابعد مابين السباب بذاكم وسبابكم بالكذب والطغيان
من سب بالبرهان ليس بظالم والظلم سب العبد بالبهتان
فحقيقة التجسيم ان يك عندكم وصف الإله الخالق الديان
بصفاته العليا التي شهدت بها آياته ورسوله العدلان

فتحملوا عنا الشهادة واشهدوا في كل مجتمع وكل مكان

انا مجسمة بفضل الله وليشـــهد بذلك معكم الثقلان

الله أكبر كشرت عن نابها الـــحرب العوان وصيح بالأقران

وتقابل الصفان وانقسم الورى قسمين واتضحت لنا القسمان

معنى كلام الناظم أن الحقيقة عند المثبتة مقصودة بالنص والمراد به التبيان، وأما عندكم أيها النفاة فهي غير مرادة، لأن الحقيقة عندكم لم تدل إلا على التشبيه والتجسيم، فكلام الله ورسوله في آيات العلو والصفات، وكذا كلام رسوله ﷺ ليس بحقيقة بل هو مجاز. والمجاز هو ما يصح نفيه. وحقائق الألفاظ دل العقل بزعمكم على نفيها فاستوى؛ أي: تم عندكم نفيان: نفي الحقيقة، ونفي دلالة اللفظ عليها. وأما المثبتة فهم أثبتوا اللفظ والمعنى بغير تشبيه ولا تمثيل فلهم اثباتان، فأنتم المعطلة حقاً، وإذا سببتم بالكذب والمحال فسبنا بالأدلة والحجج، وبابعد ما بين السبابين[1]، لأنكم تسبون بالكذب والطغيان ونحن نسب بالبرهان، فمن سب بالبرهان فليس بظالم وإنما الظلم هو السب بالبهتان.

وقوله: كشرت عن نابها الخ ... قال في «القاموس» كشر عن أسنانه يكشر كشراً: أبدى، يكون في الضحك وغيره.

قوله: العوان؛ هي الحرب بعد الحرب. قال في «مختار الصحاح» العوان النصف في سنها من كل شيء، والجمع عون. والعوان من الحرب التي قوتل فيها مرة بعد مرة كأنهم جعلوا الأولى بكراً.

---

[1] في الأصل: السباب.

فصل

في بيان مورد أهل التعطيل وانهم تعرضوا بالقلوط عن مورد السلسبيل

ياوارد القلّوط ويحك لو ترى ماذا على شفيتك والاسنان
أو ماترى آثارها في القلب والـ ـنيات والاعمال والاركان
لو طاب منك الورد طابت كلها أنى تطيب موارد الانتان
ياوارد القلوط طهر فاك من خبث به واغسله من انتان
ثم اشتم الحشوي حشو الدين والـ ـقرآن والآثار والايمان
أهلاً بهم حشو الهدى وسواهمُ حشو الضلال فما هما سيان
أهلاً بهم حشو اليقين وغيرهم حشو الشكوك فما هما صنوان
أهلاً بهم حشو المساجد والسوى حشو الكنيف فما هما عدلان
أهلا بهم حشو الجنان وغيرهم حشو الجحيم أيستوي الحشوان؟!
ياوارد القلوط ويحك لو ترى الـ ـحشوي وارد منهل القرآن
وتراه من رأس الشريعة شارباً من كف من قد جاء بالفرقان
وتراه يسقي الناس فضلة كأسه وختامها مسك على ريحان
لعذرته إن بال في القلوط لم يشرب به مع جملة العميان

ياوارد القلوط لاتكسل فرا س الماء فاقصده قريب دان.
هو منهل سهل قريب واسع كاف إذا نزلت به الثقلان.
والله ليس بأصعب الوردين بل هو أسهل الوردين للظمآن

القلوط ، بفتح القاف وتشديد اللام وبالطاء المهملة ، هو نهر بدمشق الشام يحمل أقذار البلد وأوساخه وإنتانه ويسمى في هذا الوقت: قليطاً بالتصغير والله أعلم .

فصل

في بيان هدمهم لقواعد الإسلام والإيمان بعزلهم نصوص السنة والقرآن

ياقوم بالله انظروا وتفكروا في هـــذه الأخبار والقرآن
مثل التدبر والتفكر للذي قد قاله ذو الرأي والحسبان
فأقل شيء أن يكونا عندكم حداً سواء يا أولي العدوان
والله ما استويا لدى زعمائكم في العلم والتحقيق والعرفان
عزلوهما بل صرحوا بالعزل عن نيل اليقين ورتبة البرهان
قـالوا وتلك أدلة لفظيـــة لسنا نحكّمها على الايقان
ما أنزلت لينال منها العلم با لـــ إثبات للأوصاف للرحمن

بل بالعقول ينال ذاك وهذه عنه بمعزل غير ذي سلطان

فبجهدنا تأويلها والدفع في أكنافها دفعاً لذي الصولان

أشار الناظم رحمه الله الى أنهم بما فعلوه وهو عزلهم النصوص عن إفادة اليقين هدموا قواعد الإسلام والإيمان، فقال : ياقوم بالله انظروا الخ ، أي : تفكروا وتدبروا في الكتاب والسنة كتدبركم وتفكركم في كلام المشايخ، فأقل شيء أن يكونا عندكم سواء، ثم أقسم أنهما ما استويا عند زعمائكم في العلم والتحقيق والعرفان ، بل يقولون : تلك أدلة لفظية وما وضعه مشايخنا قواطع عقلية ، وتلك الظواهر اللفظية لم تنزل لتعلم منها صفات الرب عز وجل، وإنما يعلم ذلك بالعقل ؛ ومع ذلك فنجتهد في دفعها كدفع الصائل، فإن أمكن تأويلها فذاك ، وإلا فآخر الأمر التفويض .

قوله : في أكنافها ،الكنف: الجانب والظل والناحية، قاله في «القاموس» ثم ضرب الناظم لذلك مثلاً فقال :

ككبير قوم جاء يشهد عند ذي حكم يريد دفاعه بليان

فيقول قدرك فوق ذا وشهادة لسواك تصلح فاذهبن بأمان

وبوده لو كان شيء غير ذا لكن مخافة صاحب السلطان

أي: أن مثل نصوص الكتاب والسنة الدالة على إثبات العلو والصفات عندهم كرجل كبير ذي منصب ، جاء يشهد عند بعض الحكام وهو يريد أن لا يقبل شهادته ، ويريد دفعه بالأسهل فيقول : أنت جليل القدر ،عظيم المنصب ، وقدرك فوق هذا، والشهادة تصلح لسواك، مع أن ذلك الحاكم يود أن

يرده بغير هذا الرد ، لكن لأجل مخافة صاحب السلطان يدفعه بهذا الدفع

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فلقد أتانا عن كبيرٍ فيهمُ وهو الحقير مقالة الكفران

لو كان يمكنني وليس بممكن لحككت من ذا المصحف العثماني

ذكر استواء الرب فوق العرش لـــكن ذاك ممتنع على الانسان

يعني جهم بن صفوان ، وقد تقدمت قصته هـذه أول الشرح ، وقد رواها ابن أبي حاتم كما ذكره الذهبي في كتاب « العلو » .

قال أبي حاتم : ثنا عبد الله بن محمد بن الفضل الأسدي ، ثنا يحيى بن أيوب ، ثنا أبو نعيم البلخي وكان قد أدرك جهماً قال : كان لجهم صاحب يكرمه ويقدمه على غيره ، فإذا هو قد صيح به ، وندر به ووقع فيه . فقلت له : قد كان يكرمك ! فقال : إنه قد جاء منـه ما لا يحتمل ؛ بينا هو يقرأ (طه) والمصحف في حجره فلما أتى على هذه الآية (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ قال : لو وجدت السبيل إلى أن أحكها من المصحف لفعلت . فاحتملت هذه . ثم إنه بينا هو يقرأ آية إذ قال : ما أظرف محمداً إذ قالها ، ثم إنه بينا هو يقرأ (طسم القصص) والمصحف في حجره ، إذ مر بذكر موسى فرفع المصحف بيده ورجليه وقال : أي شيء هذا ذكره هنا ؟! فلم يتم ذكره . ثم قال الذهبي : أخرجها عبد الله بن أحمد عن الصنعاني عن يحيى بن أيوب . انتهى .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

والله لولا هيبة الاسلام والـــقرآن والأمراء والسلطان
لأتوا بكل مصيبة ولدكدكوا الـــإسلام فوق قواعد الاركان
فلقد رأيتم ماجرى لأئمة الـــإسلام من محن على الأزمان
لاسيما لما استمالوا جـاهلاً ذا قدرة في الناس مع سلطان
وسعوا إليه بكل إفك بيّن بل قاسموه بأغلظ الأيمان
أن النصيحة قصدهم كنصيحة الـــشيطان حين خلا به الأبوان

يشير الناظم بهذه الأبيات الى أنه لولا هيبة الإسلام والقرآن والأمراء لأتت المبتدعة بكل مصيبة ، ولدكدكوا الإسلام ، وشاهد هذا انهم لما استمالوا المأمون عبد الله بن الرشيد العباسي ، وقام بامتحان الناس بأن القرآن مخلوق ، وحصل للأئمة ما حصل من الكروب والمشاق ، ولكن أعجلته المنية فأوصى الى أخيه أبي اسحق المعتصم وحصل ما حصل من المحن ، وحبسوا الإمام أحمد وضربوه ، وبعد ذلك في خلافة الواثق قتل أحمد ابن نصر الخزاعي ، وامتحن الإمام محمد بن عبد الرحمن الأدرمي ، وكانوا لايولون قاضياً ولاغيره إلا إن كان ممن يقول بخلق القرآن ، وذلك مشهور في كتب التواريخ مع أن المأمون قبل ذلك لم يزل يداري العلماء في القول بهذه المسألة ثم صدع بذلك .

قال الذهبي في « تاريخ الاسلام » أخبرني جماعـــة اجازة أن الكندي أخبرهم ، انبأنا القزاز ، أنبأ الخطيب ، أنبأ أبوبكر الحيري ، ثنا الأصم ،

ثنا يحيى بن أبي طالب أخبرني الحسن بن شاذان الواسطي الحافظ ، حدثني ابن عرعرة ، حدثني يحيى بن أكثم قال : قال لنا المأمون : لولا مكان يزيدبن هارون لأظهرت: القرآن مخلوق فقيل : ومن يزيد حتى يتقى؟ فقال: ويحك إني لا أتقيه لأن له سلطنة ، ولكن أخاف إن أظهرته فيرد علي فيختلف الناس ويكون فتنة . وأما المأمون فهو عبد الله المأمون بن هارون الرشيد بن محمد بن المهدي بن عبد الله المنصورأبو العباس الهاشمي ولد سنة سبعين ومائة عندما استخلف أبوه الرشيد ، وقرأ العلم في صغره ، وسمع من هشيم وعباد بن العوام ويوسف بن عطية وأبي معاوية الضرير وطبقتهم وبرع في الفقه والعربية وأيام الناس ولما كبر عني بالفلسفة وعلوم الأوائل ومهر فيها، جره ذلك إلى القول بخلق القرآن . روى عنه ولده الفضل ويحيى بن أكثم والأمير عبد الله بن طاهر ودعبل الخزاعي وآخرون ، وكان من رجال بني العباس حزماً وعزماً وحلماً وعلماً ورأياً ودهاء وهيبة وشجاعة وسؤدداً وسماحة ، وله محاسن وسيرة طويلة ، وأما مسألة خلق القرآن فلم يرجع عنها وصمم عليها في سنة ٢١٨ وامتحن العلماء فعوجل ولم يمهل . مات لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ٢١٨ . انتهى ملخصاً من « تاريخ الاسلام » للذهبي رحمه الله تعالى :

قوله : بل قاسموه بأعظم الأيمان أن النصيحة قصدهم ... الخ ؛ أي : يحلفون له بأعظم الايمان أن قصدهم النصيحة ، كما قاسم ابليس الأبوين كما في قوله تعالى : (وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين) الأعراف : ٢١

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فيرى عمائم ذات أذناب على ... تلك الفشور طويلة الأُردان

ويرى هيولى لاتهول لمبصر ... وتهول أعمى في ثياب جبان

فإذا أصاخ بسمعه ملؤوه من ... كذب وتلبيس ومن بهتان

فيرى ويسمع فشرهم وفشارهم ... يامحنة العينين والآذان

فتحوا جراب الجهل مع كذب فخذ ... واحمل بلا كيل ولا ميزان

وأتوا الى قلب المطاع ففتشوا ... عما هناك ليدخلوا بأمان

فإذا بدا غرض لهم دخلوا به ... منه اليه كحيلة الشيطان

فاذا رأوه هش نحو حديثهم ... ظفروا وقالوا ويح آل فلان

هو في الطريق يعوق مولانا عن المقصود وهو عدو هذا الشان

فإذا هم غرسوا العداوة واظبوا ... سقي الغراس كفعل ذي البستان

حتى إذا ما أثمرت ودنا لهم ... وقت الجذاد وصار ذا إمكان

ركبوا على جرد لهم وحمية ... واستنجدوا بعساكر الشيطان

فهنالك ابتليت جنود الله من ... جند اللعين بسائر الألوان

ضرباً وحبساً ثم تكفيراً وتبديعاً وشتماً ظاهر البهتان

تقدم الكلام في تفسير الهيولى .

قوله : ظفروا وقالوا ويح آل فلان ، يحتمل أنه بالظاء المشالة من الظفر ، ويحتمل أنه بالطاء وهو الوثب في ارتفاع .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فلقد رأينا من فريق منهم ... أمراً تهد له قوى الإيمان
من سبهم أهل الحديث ودينهم ... أخذ الحديث وترك قول فلان
ياأمة غضب الإله عليهم ... ألأجل هذا تشتموا بهوان ؟!
تباً لكم إذ تشتمون زوامل الـ ... ـإسلام حزب الله والقرآن
وسبيتموهم ثم لستم كفأهم ... فرأوا مسبتكم من النقصان
هذا وهم قبلوا وصية ربهم ... في تركهم لمسبة الأوثان
حذر المقابلة القبيحة منهم ... بمسبة القرآن والرحمن
وكذاك أصحاب الحديث فإنهم ... ضربت لهم ولكم بذا مثلان
سبوكم جهّالهم فسببتم ... سنن الرسول وعسكر الإيمان
وصددتم سفهاءكم عنهم وعن ... قول الرسول وذا من الطغيان
ودعوتموهم للذي قالته أشـ ... ـياخ لكم بالحرص والحسبان
فأبوا إجابتكم ولم يتحيزوا ... إلا إلى الآثار والقرآن
وإلى أولي العرفان من أهل الحديـ ... ـث خلاصة الانسان والأكوان

يشير إلى أن المعطلة يسبون أصحاب الحديث غاية السب ، ويثلبونهم أعظم الثلب ، وأن أهل الحديث قبلوا وصية ربهم في قوله تعالى : (ولا تسبوا

الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم) الأنعام : ١٠٨ فالله سبحانه قد نهى عن سب معبودات المشركين لئلا يسبوا الله سبحانه ، فكذلك أصحاب الحديث تركوا مسبة النفاة والمعطلة لئلا يسبوهم فيتعدى السب إلى الرحمن والقرآن والسنة .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

قوم أقامهم الإله لحفظ هذا الدين من ذي بدعة شيطان
وأقامهم حرساً من التبديل والـ ـتحريف والتتميم والنقصان
يزكي على الاسلام بل حصن له يأوي اليه عساكر الفرقان
فهم المحك فمن يرى متنقصا لهم فزنديق خبيث جنان
إن تتهمه فقبلك السلف الألى كانوا على الإيمان والإحسان
أيضاً قد اتهموا الخبيث على الهدى والعلم والآثار والقرآن
وهو الحقيق بذاك إذ عادى روا ة الدين وهي عداوة الديان
فاذا ذكرت الناصحين لربهم وكتابه ورسوله بلسان
فاغسله ويلك من دم التعطيل والتـ ـكذيب والكفران والبهتان
أتسبهم عدواً ولست بكفئهم فالله يفدي حزبه بالجاني
قوم هم بالله ثم رسوله أولى وأقرب منك للايمان
شتان بين التاركين نصوصه حقا لأجل زبالة الأذهان
والتاركين لأجلها آراء من آرائهم ضرب من الهذيان

لما فسا الشيطان في آذانهم ثقلت رؤوسهم عن القرآن
فلذاك ناموا عنه حتى أصبحوا يتلاعبون تلاعب الصبيان
والركب قد وصلوا العلى وتيمموا من أرض طيبة مطلع الايمان
وأتوا الى روضاتها وتيمموا من أرض مكة مطلع القرآن
قوم إذا ما ناجذ النص بدا طاروا له بالجمع والوحدان
وإذا بدا علم الهدى استبقوا له كتسابق الفرسان يوم رهان
وإذا هم سمعوا بمبتدع هذى صاحوا به طراً بكل مكان
ورثوا رسول الله لكن غيرهم قد راح بالنقصان والحرمان
وإذا استهاب سواهم بالنصر لم يرفع به رأساً من الخسران
عضوا عليه بالنواجذ رغبة فيه وليس لديهم بهان
ليسوا كمن نبذ الكتاب حقيقة وتلاوة قصدا بترك فلان
عزلوه في المعنى وولوا غيره كأبي الربيع خليفة السلطان

أي : أن النفاة والمعطلة نزلوا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ منزلة الخليفة أبي الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله ، وقد بويع المذكور بالخلافة بعهد من أبيه في جمادى الاولى سنة إحدى وسبعمائة ، لأن الخليفة المذكور يدعى له على المنابر ، ويضرب اسمه فوق السكة . وليس له من الأمر شيء ، فحال كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ عندهم كحال أبي الربيع مع السلطان محمد بن قلاوون الألفي . قوله يزك على الإسلام . (قال في «القاموس» : زك يزك زكاً وزكاً وزكيكاً وزكزك : مر يقارب خطوه ضعفاً ، ومشي زكيك : مقرمط . والزكة بالكسر : السلاح ، وبالضم : الغيظ والغم ، وتزكزك : أخذ عدته)[1]

(١) «بياض» في الأصل ، استدركناه من « القاموس » .

قوله : فهم المحك . يشبه هذا ماأنشده ابن أعين في الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه .

أضحى ابن حنبل محنة مأمونة ... وبحب أحمد يعرف المتنسك
وإذا رأيت لأحمد متنقصاً ... فاعلم بأن ستوره ستهتك

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ذكروه فوق منابر وبسكة ... رقموا اسمه في ظاهر الأثمان
والأمر والنهي المطاع لغيره ... ولمهتد ضربت بذا مثلان
ياللعقول أيستوي من قال بالـ ... ـقرآن والآثار والبرهان ؟!
ومخالف هذا وفطرة ربه ... الله أكبر كيف يستويان
بل فطرة الله التي فطروا على ... مضمونها والعقل مقبولان
والوحي جاء مصدقاً لهما فلا ... تلق العداوة ماهما حربان
سلمان عند موفق ومصدق ... والله يشهد إنهما سلمان
فاذا تعارض نص لفظ وارد ... والعقل حتى ليس يلتقيان
فالعقل إما فاسد ويظنه الـ ... ـرائي صحيحاً وهو ذو بطلان
أو أن ذاك النص ليس بثابت ... ماقاله المعصوم بالبرهان
ونصوصه ليست تعارض بعضها ... بعضاً فسل عنها عليم زمان
وإذا ظننت تعارضاً فيها فذا ... من آفة الأفهام والأذهان

أو أن يكون البعض ليس بثابت ما قاله المبعوث بالقرآن
لكنَّ قول محمد والجهم في قلب الموحد ليس يجتمعان
إلا ويطرد كل قول ضده فإذا هما اجتمعا فمقتتلان

يقول الناظم: إذا تعارض النقل والعقل، فإما أن يكون العقل فاسداً، وإما أن يكون النص ليس بثابت، والنصوص لاتتعارض وما يظن فيها من التعارض فهو من آفة الأفهام والاذهان أو بعضها ليس بثابت، ما قاله الرسول ﷺ.

قوله: إنها سلمان. هو بكسر الهمزة وتسكين النون للوزن. وأصله إن المؤكدة. ثم قال الناظم: لكن قول محمد والجهم في قلب الموحد ليس يجتمعان إلا ويطرد كل قول ضده.

والناس بعد على ثلاث حزبه أوحربه أو فارغ متوان

قوله: حزبه ... الخ الحزب: الورد والطائفة والسلاح وجماعة الناس.

قوله. أو حربه. الحرب معروف وهو بفتح الحاء وبالراء الساكنة ويذكر، مفرد حروب، ودار الحرب: بلاد المشركين الذين لا صلح بيننا وبينهم.

فاختر لنفسك أين تجعلها فلا والله لست برابع الأعيان
من قال بالتعطيل فهو مكذب بجميع رسل الله والفرقان
إن المعطل لا إله له سوى منحوت بالأفكار في الأذهان
وكذا إله المشركين نحيتة أيدي هما في نحتهم سيان

قوله : نحيته هي فعيلة بمعنى مفعولة ؛ أي : منحوتة . قال في «القاموس» نحته ، ينحته كيضربه وينصره ويعلمه : براه . انتهى .

لكن إله المرسلين هو الذي ... فوق السماء مكون الأكوان
تالله قد نسب المعطل كل من ... بالبينات أتى إلى الكتمان
والله مافي المرسلين معطل ... نافي صفات الواحد الرحمن
كلا ولا في المرسلين مشبه ... حاشاهم من إفك ذي بهتان
فخذ الهدى من عبده وكتابه ... فهما إلى سنبل الهدى سببان

فصل

في بيان بطلان قول الملحدين : إن الاستدلال بكلام الله ورسوله لا يفيد العلم واليقين .

واحذر مقالات الذين تفرقوا ... شيعاً وكانوا شيعة الشيطان
واسأل خبيراً عنهم ينبيك عن ... أسرارهم بنصيحة وبيان
قالوا الهدى لا يستفاد بسنة ... كلا ولا أثر ولا قرآن
إذ كل ذاك أدلة لفظية ... لم تبد عن علم ولا إيقان
فيها اشتراك ثم إجمال يرى ... وتجوز بالزيد والنقصان
وكذلك الإضمار والتخصيص والـ ... ـحذف الذي لم يبد عن تبيان

والنقل آحاد فموقوف على صدق الرواة وليس ذا برهان
إذ بعضهم في البعض يقدح دائماً والقدح فيهم فهو ذو إمكان
وتواتر وهو القليل ونادر جداً فأين القطع بالبرهان
هذا ويحتاج السلامة بعد من ذاك المعارض صاحب السلطان
وهو الذي بالعقل يعرف صدقه والنفي مظنون لدى الانسان
فلأجل هذا قد عزلناها ووا ـــ ـــينا العقول ومنطق اليونان
فانظر الى الإسلام كيف بقاؤه من بعد هذا القول ذي البطلان
وانظر إلى القرآن معزولاً لديـ ـــهم عن نفوذ ولاية الايقان
وانظر الى قول الرسول كذاك معـ ـــزولاً لديهم ليس ذا سلطان
والله ماعزلوه تعظيماً له أيظن ذلك قط ذو عرفان
ياليتهم إذ يحكمون بعزله لم يرفعوا رايات جنكيخان
ياويلهم ولوا نتائج فكرهم وقضوا بها قطعاً على القرآن
ورذائهم ولو إشارات ابن سيـ ـــنا حين ولوا منطق اليونان
وانظر إلى نص الكتاب مجدلا وسط العرين ممزق اللحمان
بالطعن بالاجمال والاضمار والـ ـــتخصيص والتأويل بالبهتان
والاشتراك وبالمجاز وحذف ما شاؤوا بدعواهم بلا برهان

وانظر إليه ليس ينفذ حكمه بين الخصوم وماله من شان
وانظر إليه ليس يقبل قوله في العلم بالأوصاف للرحمن
لكنما المقبول حكم العقل لا أحكامه لا يستوي الحكمان
يبكي عليه أهله وجنوده بدمائهم ومدامع الأجفان
عهدوه قدماً ليس يحكم غيره وسواه معزول عن السلطان
إن غاب ثابت عنه أقوال الرسو ل همالهم دون الورى حكمان
فأتاهمُ مالم يكن في ظنهم في حكم جنكسخان ذي الطغيان
بجنود تعطيل وكفران من الـ ـمغول ثم اللاص و العلان
فعلوا بملته وسنته كما فعلوا بأمته من العدوان
والله ماانقادوا لجنكسخان حتى أُعرضوا عن محكم القرآن
والله ما ولوه الابعد عز ل الوحي عن علم وعن إيقان
عزلوه عن سلطانه وهو اليقين المستفاد لنا من السلطان
هذا ولم يكف الذي فعلوه حتى تمموا الكفران بالبهتان
جعلوا القران عضين إذ عضوه أنواعاً معددة من النقصان
منها انتفاء خروجه من ربنا لم يبد من رب ولا رحمن

لكنه خلق من اللوح ابتدا ... ء وجبرئيل أو الرسول الثاني

ماقاله رب السموات العلى ... ليس الكلام بوصف ذي الغفران

تباً لهم سلبوه أكمل وصفه ... عضهوه عضه الريب والكفران

هل يستوي بالله نسبته الى ... بشر ونسبته الى الرحمن

من اين للمخلوق عز صفاته ... الله أكبر ليس يستويان

بين الصفات وبين مخلوق كما ... بين الإله وهذه الأكوان

هذا وقد عضهوه أن نصوصه ... معزولة عن أمرة الإيقان

لكنّ غايتها الظنون وليته ... ظناً يكون مطابقا ببيان

لكن ظواهر لايطابق ظنها ... ما في الحقيقة عندنا بوزان

إلا إذا ما أولت فمجازها ... بزيادة فيها أو النقصان

أو بالكناية واستعارات وتشـــبيه وأنواع المجاز الثاني

فالقطع ليس يفيده والظن منـــفي كذلك فانتفى الأمران

فلم الملامة اذ عزلناها ووا ـــينا العقول وفكرة الأذهان؟!

فالله يعظم في النصوص أجوركم ... يا أمة الآثار والقرآن

ماتت لدى الأقوام لايحيونها ... أبداً ولا تحييهم لهوان

شرع الناظم رحمه الله تعالى في الرد على الملحدين القائلين بأن الاستدلال بكلام الله ورسوله لايفيد اليقين ، وهو المراد عندهم بالأدلة اللفظية ، وذلك أنهم قالوا : الاستدلال بكلام الله ورسوله موقوف على مقدمات ظنية ، مثل نقل اللغة والنحو والتصريف ، ونفي المجاز والإضمار والتخصيص والاشتراك والنقل ، ومعارضة العقل للسمع ، وانتفاؤها مظنون ، والموقوف على المظنون مظنون .

قال شيخ الاسلام في اول كتاب «العقل والنقل» ذكر الرازي في اول كتابه «نهاية العقول» أن الاستدلال بالسمعيات في المسائل الأصولية لايمكن بحال لان الاستدلال بها موقوف على مقدمات ظنية ، وعلى دفع المعارض العقلي ، وأن العلم بانتفاء المعارض لايمكن ، اذ يجوز ان يكون في نفس الأمر دليل عقلي يناقض مادل عليه القرآن ولم يخطر ببال المستمع . وقد بسطنا الكلام على مازعمه هؤلاء من أن الاستدلال بالأدلة السمعية موقوف على مقدمات ظنية ، مثل نقل اللغة والنحو والتصريف ، ونفي المجاز والاضمار والتخصيص ، والاشتراك والنقل والمعارض العقلي بالسمعي . وقد كنا صنفنا في فساد هذا الكلام مصنفاً قديماً من نحو ثلاثين سنة ، وذكرنا طرفاً من بيان فساده في الكلام على المحصل وفي غيرذلك ، فذاك كلام في تقرير الأدلة السمعية وبيان أنها قد تفيد اليقين والقطع . انتهى كلامه .

قوله : جعلوا القرآن عضين ...الخ العضين : جمع عضه ، وأصلها عضوة فعلة من عضه الشاة إذا جعلها أعضاء وأجزاء ، فيكون المعنى على هذا الذي جعلوه أجزاء متفرقة بعضه شعر ، وبعضه سحر ، وبعضه كهانة ، ونحو ذلك ونذكرهنا ماذكر المفسرون في معنى قوله تعالى (الذين جعلوا القرآن

عضين) الحجر : ٩١ عن المشركين ثم نبين كيفية جعل الملحدين القرآن عضين . روى البخاري عن ابن عباس : جعلوا القرآن عضين قال : هم اهل الكتاب جزؤوه اجزاء فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه ، وروي أيضاً عن ابن عباس قال : (كما انزلنا على المقتسمين) الحجر : ٩٠ قال آمنوا ببعض وكفروا ببعض، اليهود والنصارى . قال ابن أبي حاتم : وروي عن مجاهد والحسن والضحاك وعكرمة وسعيد بن جبير وغيرهم نحو ذلك . وقال الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس : (جعلوا القرآن عضين) قال : السحر . وقال عكرمة : العضة : السحر بلسان قريش . يقول السحرة : إنها الكهانة . وقال مجاهد : عضوه أعضاء، قالوا : سحر وقالوا : كهانة، وقالوا : أساطير الاولين . وقال عطاء : قال بعضهم : ساحر وقالوا : مجنون، وقالوا : كاهن فذلك العضين . وكذا روي عن الضحاك وغيره

ومعنى كلام الناظم : إن هؤلاء الملحدين جعلوا القرآن أجزاء ونقصوه أعظم النقصان ، منها أنهم قالوا : لم يبدأ من الله سبحانه وإنما بدأ من غيره ، إما أنه خلق من اللوح المحفوظ أو أنشأه جبريل أو الرسول الثاني وهو محمد صلى الله عليه وسلم ، والقائلون بالكلام النفسي جعلوا بعضه كلام الله وهو المعنى، وبعضه كلام غيره وهو الألفاظ فسلبوه بذلك أكمل وصفه إذ قالوا : لم يتكلم الله به .

وعضهوه أيضاً أي نقصوه بأن قالوا : إن نصوصه لا تفيد اليقين ، وأي تنقص أعظم من هذا ؟ ! نعوذ بالله من موجبات غضبه .

قوله منها انتفاء خروجه من ربنا ... الخ قال النبي ﷺ « ما تقرب العباد

الى الله بمثل ماخرج منه» يعني القرآن . وقال خباب بن الأرت : ياهنتاه تقرب الى الله بما استطعت ، فلن تقرب اليه بشيء أحب اليه مما خرج منه وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما قرىء عليه قرآن مسيلمة الكذاب فقال : إن هذا كلام لم يخرج من ال، يعني رب .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

هذا وقولهم خلاف الحس والـــ ـــمعقول والمنقول والبرهان
مع كونه أيضاً خلاف الفطرة الـــ ـــأولى وسنّة ربنا الرحمن
والله قد فطر العباد على التفا هم بالخطاب لمقصد التبيان
كل يدل على الذي في نفسه بكلامه من أهل كل لسان
فترى المخاطب قاطع بمراده هذا مع التقصير في الانسان
اذ كل لفظ غير لفظ نبيـــنا هو دونه في ذا بلا نكران

شرع الناظم في بيان بطلان قول النفاة ، وأنه خلاف الحس والعقل والنقل والفطرة ، وذلك أن الله سبحانه فطر العباد على التفاهم بالخطاب ، فكل يدل على الذي في نفسه بكلامه من جميع الألسنة .

قـــوله فترى المخاطب قاطع بمراده ؛ أي : ترى المخاطب بفتح الطاء قاطع بمراد المخاطب بكسر الطاء وذلك مع التقصير في الإنسان ، إذ كل لفظ غير لفظ الرسول ﷺ هو دونه بغير شك ، حاشا كلام الله تعالى فهو

الغاية القصوى في التبيان ولهذا قال الناظم :

حاشا كلام الله فهو الغاية الـــقصوى له أعلى ذرى التبيان
لم يفهم الثقلان من لفظ كما فهموا من الأخبار والقرآن
فهو الذي استولى على التبيان كاســـتيلائه حقـاً على الإحسان
مابعد تبيان الرسول لناظر إلا العمى والعيب في العميان

ثم شرع الناظم في بيان أن بيان الرسول ﷺ فوق كل بيان فقال :

فانظر الى قول الرسول لسائل من صحبه عن رؤية الرحمن
حقاً ترون الهكم يوم اللقا رؤيا العيان كما يرى القمران
كالبدر ليل تمامه والشمس في نحر الظهيرة ماهما مثلان
بل قصده تحقيق رؤيتنا له فأتى بأظهر مايرى بعيان
ونفي السحاب وذاك أمر مانع من رؤية القمرين في ذا الآن
فإذا أتى بالمقتضي ونفى الموا نع خشية التقصير في التبيان
صلى عليه الله ماهـــذا الذي يأتي به من بعد ذا التبيان
ماذا يقول القاصد التبيان يا أهل العمى من بعد ذا التبيان
فبأي لفظ جاءكم قلتم له ذا اللفظ معزول عن الايقان
وضربتم في وجهه بعساكر التـــأويل دفعا منكم بليان

يعني الناظم بهذه الأبيات أن بيان الرسول ﷺ فوق كل بيان كما روى البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : « أن اناساً قالوا يارسول الله ، هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله ﷺ : هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ؟ قالوا لايارسول ، قال : هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها حجاب ؟ قالوا : لا . قال فإنكم ترونه كذلك » . . . الحديث .

وفي « الصحيحين » وغيرهما أيضاً عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، « أن ناساً في زمن النبي ﷺ قالوا : يارسول الله ، هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال رسول الله ﷺ : نعم فهل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحواً ليس دونها سحاب ؟ وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحواً ليس فيها سحاب ؟ قالوا : لا يارسول الله قال : ماتضارون في رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما . . . » الحديث . فهل بعد هذا البيان والإيضاح شيء .

قوله : فإذا أتى بالمقتضي هو بكسر الضاد اسم فاعل وهو أن ليس دون الرؤية سحاب والشمس في نحر الظهيرة ، فإذا تم المقتضي حصل المقتضى ولكن لاحيلة في أهل التحريف والتعطيل .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

لو أنكم والله عاملتم بذا أهل العلوم وكتبهم بوزان
فسدت تصانيف الوجود بأسرها وغدت علوم الناس ذات هوان
هذا وليسوا في بيان علومهم مثل الرسول ومنزل القرآن
والله لو صح الذي قد قلتم قطعت سبيل العلم والايمان

فالعقل لايهدي إلى تفصيلها ... لكنّ ماجاءت به الوحيان

فإذا غدا التفصيل لفظياً ومعـــزولاً عن الايقان والرجحان

فهناك لاعلم أفادت لا ولا ... ظناً وهذا غاية الحرمان

لو صح ذاك القول لم يحصل لنا ... قطع بقول قط من إنسان

وغدا التخاطب فاسداً وفساده ... أصل الفساد لنوع ذا الانسان

ماكان يحصل علمنا بشهادة ... ووصية كلا ولا إيمـان

وكذلك الاقرار يصبح فاسداً ... إذ كان محتملاً لسبع معان

وكذا عقود العالمين بأسرها ... باللفظ إذ يتخاطب الرجلان

أيسوغ للشهدا شهادتهم بها ... من غير علم منهم ببيـان

إذ تلكم الألفاظ غير مفيدة ... للعلم بل للضر ذي الرجحان

بل لايسوغ لشاهد أبداً شها ... دته على مدلول نطق لسان

بل لايراق دم بلفظ الكفر من ... متكلم بالظن والحسبان

بل لايباح الفرج بالاذن الذي ... هو شرط صحته من النسوان

أيسوغ للشهداء جزمهم بأن ... رضيت بلفظ قابل لمعان

هذا وجملة مايقال بأنه ... في ذا فساد العقل والأديان

أي لو أنكم عاملتم اهل الكتاب وكتبهم بما عاملتم به الوحيين لفسدت تصانيف النـــاس ، وأيضاً لو صح هذا الذي قلتموه لانقطعت سبيل العلم

والإيمان لأن العقل لا يهدي إلى تفصيلها ولا سبيل الى تفصيلها إلا بما جاء عن الله ورسوله ، فإذا صار التفصيل لفظياً وهو معزول عن اليقين فحينئذ لا تفيد علماً ولا ظناً . وأيضاً لو صح ماقلتموه فسد التخاطب ولم يصح لنا قطع بقول من إنسان فلا يصح لنا علم بشهادة ولا وصية ولا يمين ولا إقرار ، بل لا يراق دم بلفظ كفر ، ولا يباح فرج بالإذن الذي هو شرط صحته من النساء ولا يسوغ للشهداء جزمهم بأنها رضيت إذ ذاك قابل للمعاني المذكورة بل تفسد بذلك العقول والأديان ، ونعوذ بالله من العمى والخذلان .

قال الناظم رحمه الله تعالى:

هذا ومن بهتانهم أن اللغا ت أتت بنقل الفرد والوحدان
فانظر إلى الألفاظ في جريانها في هذه الأخبار والقرآن
أتظنها تحتاج نقلاً مسنداً متواتراً أو نقل ذي وحدان
أم قد جرت مجرى الضروريات لا تحتاج نقلاً وهي ذات بيان
إلا الأقل فإنه يحتاج للنـــقل الصحيح وذاك ذو تبيان

حاصل معنى هذه الأبيـــات أن المعطلة يقولون : إن اللغات أتت بنقل الآحاد ، وهذا تدليس وتلبيس لأن الألفاظ من الأخبار والقرآن يفهم منها مراد المتكلم بمجرد سماعها من غير حاجة إلى النقل ، اللهم إلا الأقل كما قال الناظم فإنه يحتاج للنقل الصحيح .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ومن المصائب قول قائلهم بأن الله أظهر لفظه بلسان
وخلافهم فيه كثير ظاهر عربي وضع ذاك أم سرياني

وكذا اختلافهم، أمشتقاً يرى ... أم جامداً قولان مشهوران

والأصل ماذا فيه خلف ثابت ... عند النحاة وذاك ذو ألوان

هذا ولفظ الله أظهر لفظة ... نطق اللسان بها مدى الأزمان

فانظر بحق الله ماذا في الذي ... قالوه من لبس ومن بهتان

هل خالف العقلاء أن الله ر ... ب العالمين مدبر الأكوان

مافيه إجمال ولا هو موهم ... نقل المجاز ولا له وضعان

والخلف في أحوال ذاك اللفظ لا ... في وضعه، لم يختلف رجلان

وإذا هم اختلفوا بلفظة مكة ... فيه لهم قولان معروفان

أفبينهم خلف بأن مرادهم ... حرم الإله وقبلة البلدان

وإذا هم اختلفوا بلفظة أحمد ... فيدلهم قولان مذكوران

أفبينهم خلف بأن مـــرادهم ... منه رسول الله ذو البرهان

ونظير هذا ليس يحصر كثرة ... ياقوم فاستحيوا من الرحمن

أبمثل ذا الهذيان قد عزلت نصو ... ص الوحي عن علم وعن إيقان

فالحمد لله المعافي عبـــده ... مما بلاكم ياذوي العرفان

فلأجل ذا نبذوا الكتاب وراءهم ... ومضوا على آثار كل مهـــان

ولأجل ذاك غدوا على السنن الـــتي جاءت وأهليها ذوي أضغان

يرمونهم كذباً بكل عظيمة حاشاهم من إفك ذي بهتان

أي: ومن المصائب التي تلبس بها المعطلة إنهم قالوا بأن لفظة الله فيهـــا خلاف ، هل هو عربي أم سرياني ؟ وكذا فيه اختلاف ؛ هل هو مشتق أم هو جامد ؟ وأصله ماذا ؟ ومع هذا فلفظ الله أظهر لفظة نطق اللسان بها . فانظر أيها الناظر في هذا الكتاب ما في هذا الكلام من التلبيس والبهتان ، وذلك أنه لاخلاف بين العقلاء ان الله اسم لرب العالمين ، خالق السموات والأرض الذي يحيي ويميت ، وهو رب كل شيء ومليكه ، فهم لايختلفون في أن هذا الاسم يراد به هذا المسمى وهو أشهر عندهم وأعرف من كل اسم وضع لكل مسمى ، وإن كان الناس متنازعين في اشتقاقه فليس ذلك بنزاع في معناه ، ولا يتطرق الى ذلك إجمال ولامجاز ، ومن غير نظر إلى أنه عربي أم سرياني ؟ وهل هو مشتق أم جامد ؟ فإن هذا خلاف في أحوال اللفظ لا في وضعه .

ثم ضرب الناظم لذلك مثلاً فقال : وإذا هم اختلفوا بلفظة مكة ... الخ وفيه لهم قولان ، فليس بينهم خلاف بأن مرادهم حرم الله وقبلة المسلمين .

ونظير هذا إذا اختلفوا بلفظة أحمد ، ولهم في ذلك قولان فليس بينهم خلف بأن مرادهم منه رسول الله ﷺ ، ونظائر هذا لاتحصى . أفيمثل هـذا الهذيان تعزل نصوص الكتاب والسنه عن إفادة اليقين ؟ ثم حمد الله على المعافاة مما ابتلاهم به من المحنة ، وخلاف نصوص الكتاب والسنة .

فصل

في تنزيه أهل الحديث والشريعة عن الألقاب القبيحة الشنيعة :

فرموهم بغياً بما الرامي به أولى ليدفع عنه فعل الجاني
يرمي البريء بما جناه مباهتاً ولذاك عند الغر يشتبهان
سموهم حشوية ونوابتا ومجسمين وعابدي أوثان
وكذاك أعداء الرسول وصحبه وهم الروافض أخبث الحيوان
نصبوا العداوة للصحابة ثم سـ ـموا بالنواصب شيعة الرحمن
وكذا المعطل شبّه الرحمن بالمعـ ـدوم فاجتمعت له الوصفان
وكذاك شبّه قوله بكلامنا حتى نفاه وذان تشبيهان
وكذاك شبه وصفه بصفاتنا حتى نفاها عنه بالبهتان
وأتى إلى وصف الرسول لربه سمـ ـاه تشبيهاً فيا اخوان
بالله من أولى بهذا الاسم من هذا الخبيث المخبث الشيطان
إن كان تشبيها ثبوت صفاته سبحانه فبأكمل ذي شان
لكن نفي صفاته تشبيهـ ـه بالجامدات وكل ذي نقصان
بل بالذي هو غير شيء وهو معـ ـدوم وإن يفرض ففي الأذهان
فمن المشبه بالحقيقة أنتم أم مثبت الاوصاف للرحمن

أي : إن المعطلة رموا أهل الحديث بألقاب قبيحة شنيعة ، ولقبوهم بما هم أولى به - أعني النفاة — فسموهم حشوية ونوابت ومجسمة وعباد أوثان وقد تقدم معنى ذلك و كذلك الروافض أعداء الرسول وصحبه نصبوا العداوة للصحابة رضي الله عنهم ، ثم سموا أهل السنة نواصب ، و كذلك المعطلة شبهوا الله تعالى بالمعدوم ولم يفهموا من صفات الله تعالى التي وصف بها نفسه ووصفه بها رسوله إلا التشبيه ، فنفوا ذلك ثم شبهوا الله تعالى بالمعدوم ، فجمعوا الوصفين ، شبهوا أولاً ثم عطلوا ثانياً ، وسموا أهل الحديث أيضاً مشبهة ، وهم قد شبهوا الله تعالى وتقدس بالجامدات وكل ذي نقص ، بل شبهوه بالمعدوم ، فيقول الناظم : فمن الذي أولى بهذا الاسم - يعني التشبيه — أنتم أم المثبتة؟ وحاشا المثبتة فهم أولى بالله ورسوله ، وقولهم هو الحق الذي دل عليها النقل الصريح .

فصل

في نكتة بديعة تبين ميراث الملقبين من المشركين والموحدين . والملقبين الأولى بفتح القاف ، والثانية بكسرها .

هذا وثم لطيفة عجب سأبـــديها لكم يامعشر الاخوان
فاسمع فذاك معطل ومشبه واعقل فذاك حقيقة الانسان
لابد أن يرث الرسول وضده في الناس طائفتان مختلفان

فالوارثون له على منهاجه والوارثون لضده فئتان
إحداهما حرب له ولحزبه ما عندهم في ذاك من كتمان
فرموه من ألقابهم بعظائم هم أهلها لا خيرة الرحمن
فأتى الألى ورثوهم فرموا بها ورّاثه بالبغي والعدوان
هذا يحقق إرث كل منهما فاسمع وعه يامن له أذنان
والآخرون أولو النفاق فأضمروا شيئاً وقالوا غيره بلسان
وكذا المعطل مضمر تعطيله قد أظهر التنزيه للرحمن
هذي مواريث العباد تقسمت بين الطوائف قسمة المنان

أي : من المعلوم أنه لابد أن يرث الرسول ﷺ وضده طائفتان : إحداهما : حرب له ، أي : محارب له ولدينه . والثانية : ورثته وأتباع سنته .

قوله : فرموه من ألقابهم بعظائم الخ ؛ أي : إن أعداء الرسول ﷺ الذين في وقته رموه بعظائم كقولهم : ساحر ومجنون ، كذاب ومفتر مذمم وكذا ورثة أعدائه رموا به وراثه بغياً وعدواناً ، وهذا يحقق إرث كل منهما .

قوله : فاسمع وعه ، فعل أمر من الوعي ، وأتى بهاء السكت لاستجلاب النطق بالساكن ، أي : إن المنافقين أضمروا النفاق ، وأظهروا غيره وكذا المعطل أظهر التنزيه وأضمر غيره والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

هذا وثمّ لطيفة أخرى بها سلوان من قد سب بالبهتان
تجد المعطل لاعناً لمجسم ومشبّه للـه بالإنسان

والله يصرف ذاك عن أهل الهدى ... كمحمد ومذمم اسمان

هم يشتمون مذمما ومحمداً ... عن شتمهم في معزل وصيان

صان الإله محمداً عن شتمهم ... في اللفظ والمعنى هما صنوان

كصيانة الأتباع عن شتم المعـ ... ـطل المشبه هكذا الإرثان

والسب مرجعه عليهم إذ هم ... أهل لكل مذمة وهوان

وكذا المعطل يلعن اسم مشبه ... واسم الموحد في حمى الرحمن

هذي حسان عرائس زفت لكم ... ولدى المعطل هن غير حسان

والعلم يدخل قلب كل موفق ... من غير بواب ولا استئذان

ويرده المحروم من خذلانه ... لاتشقنا اللهم بالحرمان

يافرقة نفت الاله وقوله ... وعلوه بالمجد والكفران

موتوا بغيظكم ، فربي عالم ... بسرائر منكم وخبث جنان

فالله ناصر دينه وكتابه ... ورسوله بالعلم والسلطان

والحق ركن لايقوم لهده ... أحد واو جمعت له الثقلان

توبوا إلى الرحمن من تعطيلكم ... فالرب يقبل توبة الندمان

من تاب منكم فالجنان مصيره ... أو مات جهمياً في النيران

مضمون هذه اللطيفة التي ابداها الناظم رحمه الله تعالى أن المعطلة دائماً يلعنون المجسمة والمشبهة ، والله يصرف ذلك عن أهل الهدى والسنة المتبعين ،

لما أثبت الله ورسوله من صفات الله تعالى بغير تشبيه ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل ، وكذلك كانت حال قريش مع رسول الله ﷺ يسمونه اسم مذمم ، يعنون بذلك رسول الله ﷺ لأنهم يسمونه مذمماً وهو ﷺ في معزل عن سبهم وصيانة من الله تعالى ، ففي هـذا تسلية للسلف فأتباعهم ، لأن السب يرجع إلى المعطلة لأنهم أهل كل مذمة وهوان وكذا المعطل يلعن اسم مشبه واسم الموحد في حمى الرحمن تبارك وتعالى .

قال ابن اسحق في « سيرته » : وكانت قريش إنما تسمي رسول الله ﷺ مذمما ثم يسبونه ، فكان رسول الله ﷺ يقول : « ألا تعجبون لما يصرف الله عني من قريش ، يسبون ويهجون مذمماً وأنا محمد »

فصل

في بيان اقتضاء التجهم والجبر والإرجاء للخروج عن جميع ديانات الانبياء

واسمع وعه سراً عجيباً كان مكـــتوماً من الأقوام منذ زمان

فأذعته بعـــد اللتيا والتي نصحاً وخوف معرة الكتمان

جيم وجيم ثم جيم معهما مقرونة مع أحرف بوزان

فيها لدى الأقوام طلسم متى تحلله تحلل ذروة العرفـان

فإذا رأيت النور فيه تقارن الـــجيمات بالتثليث شر قران

دلت على أن النحوس جميعها سهم الذي قد فاز بالخذلان
جبروا رجاءً ثم جيم تجهم فتأمل المجموع في الميزان

قوله : بعد اللتيا والتي . هما من اسماء الدواهي ، واللتيا أصغر من التي وهي في الأصل تصغيرها ، ثم هما من الاسماء الموصولة ، وحذفت صلتها وذلك في عظم الأمر وشدته ، كأنه قال : كفيته التي عظمت شدتها ، وتناهت بليتها ، و كأنه يريد باللتيا صغار المغارم ؛ أي : غرمها في ماله ، وبالتي عظامها كالدم يعقله عن القاتل ونحوه .

قولـــه : جيم وجيم الخ ؛ أي : تلك الجيمات مقرونة مع أحرف ؛ أي : جبروا رجاء وتجهم .

قوله : طلسم ، هو واحد الطلاسم وهي اسماء مخصوصة لها تعلق بالأفلاك والكواكب في أجسام مخصوصة كالمعارف وغيرها مع قوة نفس صالحة لهذا العمل ، فتحدث عندها أحكام مخصوصة كما زعم أربابه .

قوله : فإذا رأيت الثور فيه تقارن الجيمات بالتثليث ... هذا شي عند المنجمين يسمى بالتثليث والتربيع ، ويسمونه النصبة ؛ أي إذا تقارنت الجيمات الثلاث في برج الثور وهو أحد البروج الاثني عشر المذكورة في قوله :

حمل الثور جوزة السرطان ورعى الليث سنبل الميزان
ورمت عقرب بالقوس جديا فملا الدلو بركة الحيتان

يقول الناظم : إذا حصل هـــذا القران في البرج المذكور فاحكم لمن حصل له هـــذا الطالع بخلاصه من ربقة الإيمان ، ثم شرع الناظم في بيان كيفية الخروج عن جميع ديانات الأنبياء لمن حصلت له هذه الجيمات ، فقال :

فاحكم بطالعها لمن حصلت له بخلاصه من ربقة الإيمان
فاحمل على الاقدار ذنبك كله حمل الجذوع على قوى الجدران
وافتح لنفسك باب عذرك إذ ترى الأ فعال فعل الخالق الديان
فالجبر يشهدك الذنوب جميعها مثل ارتعاش الشيخ ذي الرجفان
لا فاعل أبداً ولا هو قادر كالميت أدرج داخل الأكفان
والأمر والنهي اللذان توجها فهما كأمر العبد بالطيران
وكأمره الأعمى بنقط مصاحف أو شكلها حذراً من الالحان

وهذه جيم الجبر لأن عند الجبرية أن العباد مجبورون على أفعالهم ، وأنها مثل ارتعاش المرتعش أو كالميت يدرج في الأكفان ، و كأمر الأعمى بنقط المصاحف أو شكلها .

قـــوله :

واذا ارتفعت درجة أخرى رأيـــت الكل طاعات بلا عصيان
إن قيل قد خالفت أمر الشرع قل لكن أطعت إرادة الرحمن
ومطيع أمر الله مثل مطيع ما يقضي به و كلاهما عبدان
عبد الأوامر مثل عبد مشيئة عند المحقق ليس يفترقان
فانظر إلى ما قادت الجيم التي للجبر من كفر ومن بهتان

أي : إذا ارتفع الجبري درجة أخرى رأى الكل طاعات ، وفي هذه الحال يقول قائلهم :

أصبحت منفعلا لما تختاره مني ففعلي كله طاعات

ويقول : إن خالفت الشرع فقد أطعت القدر والإرادة ، ومطيع الأمر مثل مطيع القضاء ، وعبد الأمر مثل عبد المشيئة . ونحو ذلك. قوله عند المحقق ، أي : بزعمهم، فهذا ماقادته جيم الجبر من الكفر والبهتان .

قولـــه :

وكذلك الارجاء حين تقر بالـــمعبود تصبح كامل الايمان

فارم المصاحف في الحشوش و خرب البيت العتيق وجدّ في العصيان

واقتل إذا ما استطعت كل موحد وتمسحن بالقس والصلبان

واشتم جميع المرسلين ومن أتوا من عنده جهراً بلا كتمان

وإذا رأيت حجارة فاسجد لها بل خر للأصنام والأوثان

وأقر أن الله جل جـــلاله هو وحده البادي لذي الأكوان

وأقر أن رسوله حقاً أتى من عنده بالوحي والقرآن

فتكون حقاً مؤمناً وجميع ذا وزر عليك وليس بالكفران

هذا هو الإرجاء عند غلاتهم من كل جهمي أخي الشيطان

فأضف الى الجيمين جيم تجهم وانف الصفات والق بالأرسان

قل ليس فوق العرش رب عالم بسرائر منا ولا إعلان

بل ليس فوق العرش ذو سمع ولا بصر ولا عدل ولا إحسان

بل ليس فوق العرش معبود سوى الـــعدم الذي لاشيء في الأعيان

بل ليس فوق العرش من متكلم بأوامر وزواجر وقران
كلا ولا كلم إليه صاعـــد أبداً ولا عمل لذي شكران
إني وحظ العرش منه كحظ ما تحت الثرى عند الحضيض الداني
بل نسبة الرحمن عند فريقهم للعرش نسبته الى البنيان
فعليها استولى جميعاً قدرة وكلاهما من ذاته خلوان
هذا الذي أعطته جيم تجهم حشواً بلا كيل ولا ميزان
تالله ما استجمعن عند معطل جيماتها ولديه من إيمـــان

شرع الناظم في بيان ما تقتضيه جيم الإرجاء ، وهو أن عندهم إذا أقر الإنسان بأن الله وحده هو الخالق ، وأن رسوله حق أتى من عند الله فهذا هو الإيمان عندهم ، وإن فعل ما فعل فهو ذنب ووزر وليس بكفر .

قوله : فارم المصاحف في الحشوش ، وخرب البيت العتيق ، واقتل إن استطعت الموحدين ، واشتم جميع المرسلين ، واسجد للأصنام ، ولا يضرك ذلك إذا أقررت بأن الله الخالق ، وأن رسوله ﷺ حق ، فهذا هو الإرجاء عند غلاة الجهمية .

قوله : فأضف الى الجيمين جيم تجهم ، وهذه الجيم تقتضي نفي الصفات ، وأن الله سبحانه ليس فوق العرش بل ليس فوق العرش معبود سوى العدم ، وليس فوق العرش رب متكلم ، ولا يصعد إليه شيء ، ولا ينزل من عنده شيء ، بل نسبة الرحمن عندهم للعرش والحضيض التحتاني سواء ، وهو سبحانه

قد استولى عليها بالقدرة ، فهذا الذي أعطته جيم التجهم ، ثم أقسم الناظم أن من اجتمعت له هذه الجيمات الثلاث فقد خلص من ربقة الإيمان، ثم قال :

والجهم، أصّلها جميعاً فاغتدت مقسومة في الناس بالميزان

والوارثون له على التحقيق هم أصحابها لا شيعة الإيمـــان

لكن تقسمت الطوائف قوله ذو السهم والسهمين والسهمان

لكن نجا أهل الحديث المحض أتـــ ـــباع الرسول وتابعوا القرآن

عرفوا الذي قد قال مع علم بما قال الرسول فهم أولو العرفان

وسواهم في الجهل والدعوى مع الـــ ـــكبر العظيم وكثرة الهذيان

مدوا يداً نحو العلى بتكلف وتخلف وتكبر وتوان

أترى ينالوها وهذا شأنهم حاشا العلى من ذا الزبون الفاني

قوله : والجهم أصلها بفتح الهمزة وتشديد الصاد أي : أسسها ، ولكن تقاسمها النـاس، فبعضهم أخذ سهماً، وبعضهم سهمين ، وبعضهم أخذ السهام الثلاثة ، نعوذ بالله من ذلك. والسهمان بضم السين جمع سهم. ولم ينج من هذه الجيمات إلا أهل الحديث المحض الذين تبعوا القرآن والرسول ، وعضوا على سنته بالنواجذ، والحمد لله على الإسلام والسنة .

فصل

في جواب الرب تبارك وتعالى يوم القيامة ، إذا سئل المعطل والمثبت عن قول كل واحد منهما :

وسل المعطل ماتقول إذا أتى فئتان عند الله تختصمان
إحداهما حكمت على معبودها بعقولها وبفكرة الأذهان
سمته معقولاً وقالت إنه أولى من المنصوص بالبرهان
والنص قطعاً لايفيد فنحن أو لنا وفوضنا لنا قولان
قالت وقلنا فيك لست بداخل فينا ولست بخارج الأكوان
والعرش أخليناه منك فلست فو ق العرش لست بقابل لمكان
وكذاك لست بقائل القرآن بل قد قاله بشر عظيم الشان
ونسبته حقاً إليك بنسبة التشريف تعظيماً لذي القرآن
وكذاك قلنا لست تنزل في الدجى إن النزول صفات ذي الجثمان
وكذاك قلت ألست ذا وجه ولا سمع ولا بصر فكيف يدان
وكذاك قلنا لاترى في هذه الدنيا ولا يوم المعاد الثاني
وكذاك قلنا مالفعلك حكمة من أجلها خصصته بزمان

ماثم غير مشيئة قد رجحت مثلاً على مثل بلا رجحان
لكن منا من يقول بحكمة ليست بوصف قام بالرحمن
هذا وقلنا ما اقتضته عقولنا وعقول أشياخ ذوي عرفان
قالوا لنا لا تأخذوا بظواهر الـ ـوحيين تنسلخوا من الإيمان
بل فكروا بعقولكم إن شئتم أو فاقبلوا آراء عقل فلان
فلأجل هذا لم نحكّم لفظ آ ثار ولا خبر ولا قرآن
إذ كل تلك أدلة لفظية معزولة عن مقتضى البرهان

فصل

والآخرون أتوا بما قد قاله من غير تحريف ولا كتمان
قالوا تلقينا عقيدتنا عن الـ ـوحيين بالأخبار والقرآن
فالحكم ما حكما به لا رأي أهـ ـل الاختلاف وظن ذي الحسبان
آراؤهم أحداث هذا الدين نا قضة لأصل طهارة الإيمان
آراؤهم ريح المقاعد أين تلـ ـك الريح من روح ومن ريحان
قالوا وأنت رقيبنا وشهيدنا من فوق عرشك يا عظيم الشان
إنا أبينا أن ندين ببدعة وضلالة أو إفك ذي بهتان

لكن بما قد قلته أوقـــاله ... من قد أتانا عنك بالفرقان

وكذاك فارقناهمُ حين احتيـــاج الناس للأنصار والأعوان

كيلا نصير مصيرهم في يومنـا ... هذا ونطمع منك بالغفران

فمن الذي منـا أحق بأمنه ... فاختر لنفسك ياأخا العرفان

لابد أن نلقـاه نحن وأنتمُ ... في موقف العرض العظيم الشان

وهناك يسألنا جميعاً ربنـا ... ولديه قطعاً نحن مختصمان

فنقول قلت كذا وقال نبينـا ... أيضاً كذا فإمامنا الوحيان

فافعل بنا ماأنت أهل بعد ذا ... نحن العبيد وأنت ذو الإحسان

أفتقدرون على جواب مثل ذا ... أم تعدلون إلى جواب ثان

مافيه قال الله قـال رسوله ... بل فيه قلنـا مثل قول فلان

وهو الذي أدت اليه عقولنا ... لمـا وزنا الوحي بالميزان

إن كان ذلكم الجواب مخلصاً ... فامضوا عليه ياذوي العرفـان

تالله ما بعد البيـان لمنصف ... إلا العناد ومركب الخذلان

حاصل كلام النـاظم في هذين الفصلين أنه يحكي جواب المعطل والمثبت عن قول كل واحد منهما إذا سألهما الرب تعالى يوم القيامة ، ومعنى ماذكره أن المعطل يقول لربه إذا سأله يوم القيامة : يارب إني حكمت عليك بالعقل والفكرة . وهذا أولى من المنصوص ، وقلت : إنك لست بداخل العالم ولا خـارجه ، وإنك لست فوق العرش ، وإنك لست بقائل القرآن ، بل هو

عبـــارة أو حكاية عبر بها رسولك البشري وهو محمد ﷺ عن المعنى النفسي ، وإن نسبته إليك نسبة تشريف كما يقال : بيت الله، وكذاك قلنا : لست تنزل في الدجى لأن النزول من صفات الأجسام ، وكذا قلنا: لا وجه لك ولا سمع ولا بصر ولا يدان ، وكذا قلنا : إنك لاترى في الآخرة ، وكذا قلنا : مالفعلك حكمة، وليس ثم غير مشيئة قد رجحت مثلًا على مثل، ومع ذلك فمنا من يقول: الحكمة ليست تقوم بالرحمن سبحانه ، لأن ذلك يستلزم قيام الحوادث به تعالى ، وقلنا ماقتضته عقولنا وعقول أشياخنا ، وهم قد قالوا : لاتأخذوا بظواهر الوحيين ، بل فكروا بعقولكم أو فاقبلوا رأي فلان وفلان ، قالوا : فلأجل هذا لم نحكم لفظ آثار ولا قرآن ، لأنها أدلة لفظية لاتفيد اليقين، وأما الآخرون وهم المثبتة فإنهم أتوا بما قد قاله الله ورسوله من غير تحريف ولا كتمان ، وقالوا : تلقينا عقيدتنا عن الوحيين ، والحكم عندنا ما حكما به، لارأي أهل الاختلاف والظنون الفاسدة . قالوا : لابد أن نلقاه نحن وأنتم في موقف العرض ، وهناك يسألنا جميعاً ربنا فنقول : قلت كذا وقال نبينا كذا ، فافعل بنا ماأنت أهل له ، فنحن عبيدك وأنت ذو الإحسان ، أفتقدرون أيها المعطلة على مثل هذا الجواب ؟ أم تجيبون بجواب ليس فيه قال الله قال رسوله ؟ بل تقولون : قولنا مثل قول فلان، وهذا هو الذي أدت إليه عقولنا ، فإن كان هذا الجواب مخلصاً لكم فامضوا عليه ، والله الموفق .

فصل

في تحميل أهل الإثبات للمعطلين شهادة تؤدى عند رب العالمين .

يأيها الباغي على أتباعه بالظلم والبهتان والعدوان
قد حمّلوك شهادة فاشهد بها إن كنت مقبولاً لدى الرحمن
واشهد عليهم إن سألت بأنهم قالوا إله العرش والأكوان
فوق السموات العلى حقاً على العرش استوى سبحان ذي السلطان
والأمر ينزل منه ثم يسير في الأ قطار سبحان العظيم الشان
وإليه يصعد مايشاء بأمره من طيبات القول والشكران
واليه قد صعد الرسول وقبله عيسى بن مريم كاسر الصلبان
وكذلك الأملاك تصعد دائماً من ههنا حقاً إلى الديان
وكذاك روح العبد بعد مماتها ترقى إليه وهو ذو إيمان
واشهد عليهم أنه سبحانه متكلم بالوحي والقرآن
سمع الأمين كلامه منه وأدا ه إلى المبعوث بالفرقان
هو قول رب العالمين حقيقة لفظاً ومعنى ليس يفترقان
واشهد عليهم أنه سبحانه قد كلم المولود من عمران

سمع ابن عمران الرسول كلامه منـــه إليه مسمع الآذان

واشهد عليهم أنهم قالوا بأ ن الله ناجاه بلا كتمان

واشهد عليهم أنهم قالوا بأ ن الله نادى قبله الأبوان

واشهد عليهم أنهم قالوا بأ ن الله يسمع صوته الثقلان

والله قال بنفسه لرسوله إني أنا الله العظيم الشان

والله قال بنفسه لرسوله إذهب الى فرعون ذي الطغيان

والله قال بنفسه حمَ مع طـه ومع يس قول بيان

واشهد عليهم أنهم وصفوا الإلـــه بكل ماقد جاء في القرآن

وبكل ماقال الرسول حقيقة من غير تحريف ولا عدوان

واشهد عليهم أن قول نبيهم وكلام رب العرش ذا التبيان

نص يفيد لديهم علم اليقـــين إفادة المعلوم بالبرهـان

واشهد عليهم أنهم قد قابلوا التـــعطيل والتمثيل بالنكران

إن المعطل والممثل ماسما متيقنين عبادة الرحمـــن

ذا عابد المعدوم لا سبحانه أبداً وهذا عـــابد الأوثان

واشهد عليهم أنهم قد أثبتوا الـــأسمـاء والأوصاف للديان

وكذلك الأحكام أحكام الصفا ت وهذه الأركان للإيمان

قالوا عليم وهو ذو علم ويعـــلم غاية الإسرار والإعلان

وكذا بصير وهو ذو بصر ويبـــصر كل مرئي وذي الأكوان

وكذا سميع وهو ذو سمع ويســـمع كل مسموع من الأكوان

متكلم وله كلام وصفه ويكلم المخصوص بالرضوان

وهو القوي بقوة هي وصفه وعليك يقدر يا أخا السلطان

وهو المريد له الارادة هكذا أبداً يريد صنائع الاحسان

حاصل كلام الناظم في هذه الأبيات أن المثبتة قد حملوا المعطلة شهادة تؤدى بمندوبهم سبحانه باثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله من الصفات من غير تحريف ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل، وذلك كعلو الله تعالى على خلقه، ونزول الأوامر منه سبحـــانه، وصعود الكلم الطيب اليه، ومعراج الرسول اليه، ورفع عيسى بن مريم عليه السلام الى الله، وكذا صعود الملائكة اليه دائماً، وكذا روح المصدق بعد الممات تصعد اليـه، وأنه سبحانه متكلم بالوحي والقرآن، وأن الأمين جبريل سمع كلامه، وأداه الى الرسول ﷺ وأنه قول رب العـــالمين حقيقة لفظه ومعناه. واشهد عليهم أيضا المعطل أنه سبحـــانه كلم المولود من عمران، وهو موسى عليه السلام، وأن الله ناداه وناجاه وكذا اشهد عليهم أنهم قالوا: بأن الله نادى قبله الأبوين آدم وحواء، واشهد عليهم أنهم قالوا: بأن الله ينادي خلقه يوم القيامة بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب، واشهد عليهم أنهم قالوا: إن الله سبحانه قال: بنفسه (حم) و (طه) و (يس) وأنهم وصفوه سبحانه

بكل ما قد جاء في القرآن ، وبكل ما قال الرسول ، من غير تحريف ولا عدوان ، واشهد عليهم أن كلام الله ورسوله عندهم نص يفيد علم اليقين ، واشهد عليهم أنهم أنكروا التعطيل والتمثيل ، وأن المعطل والممثل غير متيقنين عبادة الرحمن عز وجل ، لأن المعطل يعبد عدماً ، والممثل يعبد صنماً ، تعالى الله وتقدس ، واشهد عليهم أيها المعطل أنهم قد أثبتوا أسماء الرب تعالى وصفاته المقدسة ، وكذا أثبتوا أحكام الصفات ، وأنه سبحانه عليم يعلم ويعلم السر وأخفى ، وكذا أثبتوا أنه سبحانه بصير وذو بصر ويبصر كل شيء ، وكذا أثبتوا أنه سبحانه سميع وذو سمع ويسمع كل مسموع ، وأنه سبحانه متكلم وله كلام ، ويكلم من شاء سبحانه ، وكذا أثبتوا له سبحانه القوة بقوة هي وصفه وهو على كل شيء قدير ، وأثبتوا أنه تعالى مريد وله الارادة ويريد سبحانه .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

والوصف معنى قائم بالذات والـ ـأسماء إعلام لـه بوزان

أسماؤه دلت على أوصافه مشتقة منها اشتقاق معان

وصفاته دلت على أسمائـه والفعل مرتبط بـه الأمران

والحكم نسبتها إلى متعلقا ت تقتضي آثارها ببيـان

ولربما يعني به الاخبار عن آثارهـا يعني بـه أمـران

والفعل إعطاء الارادة حكمها مع قدرة الفعال والإمكان

فاذا انتفت أوصافه سبحانه فجميـع هذا بيّن البطلان

أي إن صفاته سبحانه معان قائمة بذاته ، والأسماء أعلام ، والأسماء تدل على الصفات ، وهي مشتقة منها ، وصفاته دلت على أسمائه . وتوضيح ذلك أنه لما اتصف سبحانه بالعلم اشتق له منه اسم العليم ، ولما اتصف سبحانه بالرحمة اشتق له منها اسم الرحمن ، وهكذا قوله : والحكم نسبتها الى متعلقات تقتضي آثارها ببيان ، يعني أن أحكام الصفات تنسب الى متعلقات تقتضي آثارها وذلك أن نقول: هو سبحانه عليم ويعلم كل شيء ، بصير ويبصر كل شيء ، سميع ويسمع كل شيء ، كما تقدم في الأبيات .

قوله : فإذا انتفت أوصافه سبحانه الخ... ؛ أي : اذا انتفت صفاته سبحانه ، فجميع هذا باطل بغير شك ، وأهل الاثبات يثبتون جميع ذلك خلافاً للمعطلة القائلين بأنه سبحانه عليم بلا علم ، قدير بلا قدرة ، بصير بلا بصر ، ونحو ذلك .

قـــال الناظم رحمه الله تعالى :

واشهد عليهم أنهم قالوا بهـــذا كله جهراً بلا كتمان

واشهد عليهم أنهم برآء من تأويل كل محرف شيطان

واشهد عليهم أنهم يتأولو ن حقيقة التأويل في القرآن

هم في الحقيقة أهل تأويل الذي يعنى به لا قائل الهذيان

واشهد عليهم أن تأويلاتهم صرف عن المرجوح للرجحان

أي : واشهد عليهم أيها المعطل أنهم يتأولون ، ولكن لا بالمعنى المصطلح عليه عند كثير من المتأخرين الذين تكلموا في الفقه وأصوله ، وهو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح الى الاحتمال المرجوح ، لدليل يقترن به ، فهذا القسم

من التأويل باطل عند المثبتة ، والتأويل الذي يثبتونه هو بمعنى التفسير ، وهذا معنى قول الناظم : هم في الحقيقة أهل تأويل الذي يعني به الخ . وذلك كما يقول ابن جرير وأمثاله من المفسرين ، ومجاهد إمام المفسرين ، وعلى تفسيره يعتمد الشافعي والبخاري وغيرهما : فاذا ذكر أنه يعلم تأويل المتشابه ، فالمراد معرفة تفسيره ،

قال الناظم رحمه الله تعالى :

واشهد عليهم أنهم حملوا النصو ص على الحقيقة لا المجاز الثاني

الا اذا ما اضطرهم لمجازها الـــمضطر من حس ومن برهان

فهناك عصمتها اباحته بغيـــر تجانف للاثم والعدوان

حاصل ما نتكلم به في هذه الأبيات أن نذكر كلام العلماء في المجاز وثبوته أو نفيه ، ثم نتكلم على معنى الأبيات الثلاثة بما يسره الله تعالى[1] فنقول : قال الشيخ علاء الدين المرداوي في كتاب « التحرير » في اصول الفقهاء الأربعة وغيرهم : المجاز واقع ، وخالف الأستاذ والشيخ وغيرهما وردوه إلى المتواطىء ، وعلى الأول ليس المجاز بأغلب في الأصح ، وهو في القرآن عند أحمد وأكثر أصحابه . والأكثر ، وعنه : لا ، اختاره ابن حامد والتميمي ، والحرزي وغيرهم . وقيل : ولا في الحديث أيضاً. انتهى كلامه. ومعنى كلامه أن الأئمة الأربعة وغيرهم ذهبوا الى وقوع المجاز ، وخالف في ذلك الاستاذ يعني الشيخ أبا اسحق الاسفراييني الشافعي ، والشيخ ، يعني به

---

(١) ذكر المصنف رحمه الله ما اراد ذكره من كلام العلماء ، ولكنه لم يتكلم على معنى الابيات الثلاثة . (ابن مانع)

شيخ الاسلام رحمها الله تعالى ، وكلامه رحمه الله معروف في كتاب « الايمان » وهو أنه اختار نفي المجاز في الكتاب والسنة ولغة العرب . والناظم رحمه الله في هذا الموضع اختار في المسألة تفصيلا . وهو ان النصوص تحمل على الحقيقة إلا عند الاضطرار الى المجاز ، فتصرف اليه . وقد قال في كلام له : المجاز والتأويل لا يدخل في النصوص ، وانما يدخل في الظاهر المحتمل له ، وكون اللفظ نصاً يعرف بشيئين : احدهما : عدم احتماله لغير معناه وضعاً . والثاني : ما اطرد استعماله على طريقة واحدة في جميع موارده ، فانه نص في معنـــاه لا يقبل تأويلا ولا مجازاً وان قدر تطرق ذلك الى بعض أفراده ، وصار بمنزلة خبر التواتر لا يتطرق احتمال الكذب اليه وان تطرق الى واحد بفرده .

وهذه قاعدة نافعة تدل على خطأ كثير من التأويلات للسمعيات التي اطرد استعمالها في ظاهرها ، وتأويلها والحالة هذه غلط ، فان التأويل انما يكون لظاهر قد ورد شاذاً مخالفاً لغيره من السمعيات ، فيحتاج الى تأويله ليوافقها ، وأما اذا اطردت كلها على وتيرة واحدة ، (فقد) صارت بمنزلة النص وأقوى وتأويلها ممتنع . انتهى كلامه .

وهذا الذي ذكره قد ذكره غيره من العلماء ، وهو أنهم قالوا : إن الأدلة إذا تكاثرت ودلت على معنى ، ثم ورد دليل واحد يخالف تلك الأدلة ، وجب الأخذ بتلك الأدلة ، وتأويل ذلك الدليل الواحد حتى يوافقها . وقد رأيت شيخ الاسلام أثبت المجاز في بعض كلامه ، قال في «الفتيا الدمشقية » واعلم ان من لم يحكم دلالات اللفظ ، ويعلم أن ظهور المعنى من اللفظ تارة يكون بالوضع اللغوي ، أو العرفي أو الشرعي ، إما في الألفاظ المفردة ، وإما في المركبة ، وتارة بما اقترن باللفظ المفرد من

التركيب الذي يتغير به دلالته في نفسه ، وتارة بما اقترن به من القرائن اللفظية التي تجعلها مجازاً ، وتارة بما يدل عليه حال المتكلم والمخاطب والمتكلم فيه ، وسياق الكلام الذي يعين أحد محتملات اللفظ ، أو يبين أن المراد به هو مجازه ... إلى غير ذلك من الأسباب التي تعطي اللفظ صفة الظهور ، وإلا فقد يتخبط في هذه المواضع . نعم اذا لم يقترن باللفظ قط شيء من القرائن المتصلة تبين مراد المتكلم ، بل علم مراده بدليل آخر لفظي منفصل ، فهنا أريد به خلاف الظاهر ، كالعموم المخصوص بدليل منفصل ... الى أن قال : إن الألفاظ نوعان : احدهما : ما معناه مفرد ، كلفظ الأسد ، والحمار ، والبحر ، والكلب ، فهذا اذا قيل : أسد الله وأسد رسوله ، أو قيل للبليد : حمار . أو قيل للعالم أو السخي أو الجواد : أمن الخيل بحراً ، أو قيل للأسد : كلب ، فهذا مجاز ، ثم اقترنت به قرينة تبين المراد . كقول النبي ﷺ لفرس أبي طلحة : « ان وجدناه لبحراً » وقوله : « إن خالداً سيف من سيوف الله سله الله على المشركين »[1] وقوله لعثمان : « ان الله مقمصك قميصاً » .

---

(١) أورده بهذا اللفظ الحافظ السيوطي في « الجامع الصغير » من رواية ابن عساكر عن عمر . ورمز له بالضعف . ولكن رواه احمد في « المسند » من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « نعم عبد الله وأخو العشيرة خالد بن الوليد سيف من سيوف الله سله الله على الكفار والمنافقين » قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » رواه احمد ، والطبراني بنحوه ورجالها ثقات ، ورواه الترمذي من رواية زيد بن اسلم عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ « نعم عبد الله خالد بن الوليد سيف من سيوف الله » قال الترمذي : هذا حديث غريب ، ولا يعرف لزيد بن اسلم سماع من ابي هريرة ، وهو حديث مرسل عندي . ورواه الطبراني عن أنس بن مالك قال : نعى رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل مؤتة على المنبر قال : « ثم اخذ الراية سيف من سيوف الله » قال الهيثمي ورجاله رجال الصحيح . وعن عبد الله بن جعفر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نعى اهل مؤتة قال : « ثم اخذ الراية سيف من سيوف الله خالد بن الوليد فتح الله عليه » قال الهيثمي : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن احمد بن حنبل وهو امام ثبت

وقول ابن عباس : الحجر الأسود يمين الله في الارض ، فمن استلمه وصافحه فكأنما بايع ربه ، [١] أو كما قال ، ونحو ذلك ، فهذا اللفظ فيه تجوز. إلى اخر كلامه . فهذا ظاهر في اثبات المجاز والله أعلم .

وأما الناظم رحمه الله تعالى فقد رأيت في كلامه في النظم ، وفي كلامه الذي نقلناه عنه . ولكنه قد بالغ في كتاب « الصواعق المرسلة » في ابطال المجاز ، واستدل لذلك بنحو خمسين وجهاً . ورد على ابن جني كلامه في المجاز من أوجه كثيرة والله اعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى .

واشهد عليهم أنهم لا يكفرو ... نكم بما قلتم من الكفران

اذ أنتمُ أهل الجهالة عندهم ... لستم أولي كفر ولا ايمان

لا تعرفون حقيقة الكفران بل ... لا تعرفون حقيقة الايمان

الا اذا عاندتمُ ورددتمُ ... قول الرسول لأجل قول فلان

فهناك أنتم أكفر الثقلين من ... انس وجن ساكني النيران

يأتي الكلام في مسألة التكفير ان شاء الله تعالى في الفصل الذي أوله : ومن العجائب أنكم كفرتم أهل الحديث وشيعة القرآن .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

واشهد عليهم أنهم قد أثبتوا الـ ... ـأقدار واردة من الرحمن

واشهد عليهم أن حجة ربهم ... قامت عليهم وهو ذو غفران

---

(١) هذا الحديث روي موقوفاً على ابن عباس، وروي مرفوعاً بعدة روايات لا تخلو كلها من ضعف .

واشهد عليهم أنهم هم فاعلو ن حقيقة الطاعات والعصيان

والجبر عندهم محال هكذا نفي القضاء فبئست الرأيان

واشهد عليهم ان ايمان الورى قول وفعل ثم عقد جنان

ويزيد بالطاعات قطعاً هكذا بالضد يمسي وهو ذو نقصان

والله ما ايمان عاصينا كايمان الامين منزل القرآن

كلا ولا ايمان مؤمننا كايمان الرسول معلم الايمان

واشهد عليهم أنهم لم يخلدوا أهل الكبائر في حميم آن

بل يخرجون باذنه بشفاعة وبدونها لمساكن بجنان

واشهد عليهم أن ربهم يرى يوم المعاد كما يرى القمران

واشهد عليهم أن أصحاب الرسول خيار خلق الله من انسان

حاشا النبيين الكرام فانهم خير البرية خيرة الرحمن

وخيارهم خلفاؤه من بعده وخيارهم حقاً هما العمران

والسابقون الأولون أحق بالتقديم ممن بعدهم ببيان

كل بحسب السبق أفضل رتبة من لاحق والفضل للمنان

قد تكلمنا على أكثر مضمون هذه الأبيات في غضون هذا الشرح .

وأما مسألة خلق أفعال العباد ، ومسألة الإيمان ، وأنه قول وعمل ونية ،

يزيد وينقص ، فينبسط الكلام عليها بعض البسط ، لأنها من الأصول الكبار لأهل السنة والجماعة ، فنقول :

قوله: واشهد عليهم أنهم فاعلون حقيقة الطاعات الخ . . . أي : أن أهل الإثبات، أهل السنة والجماعة ، يؤمنون بالقدر خيره وشره . والإيمان بالقدر على درجتين : كل درجة تتضمن شيئين . فالدرجة الأولى الإيمان بأنه تعالى علم ما الخلق عاملون بعلمه القديم ، الذي هو موصوف به أزلاً وأبداً ، وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والآجال ، ثم كتب الله في اللوح المحفوظ مقادير الخلق. فأول ما خلق الله القلم ، فقال : اكتب ، فقال: ما أكتب؟ فقال :اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة[1] ، فما أصاب الانسان لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه كما قال سبحانه : (ألم تعلم أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض مايكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم) المجادلة : ٧ وقال تعالى : (ما أصاب من مصيبة في الأرض ، ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها) الحديد : ٢٤ وهذا التقدير التابع لعلمه سبحانه ، يكون في مواضع جملة وتفصيلاً . فقد كتب في اللوح المحفوظ : فإذا خلق جسد الجنين قبل نفخ الروح ، بعث إليه ملك ، فيأمر بأربع كلمات ، فيقال : اكتب رزقه ، وأجله ؛ وعمله ، وشقي أو سعيد ،[2] وأما الدرجة الثانية ،

---

(١) رواه احمد في « المسند » (٥/٣١٧) وسنده حسن ، ورواه أبو داود رقم (٤٧٠٠) ورواه الترمذي في القدر وقال : هذا حديث غريب من هذا الوجه ، وأخرجه في التفسير من هذا الوجه وقال : حديث غريب ، فالحديث بمجموع طرقه صحيح .

(٢) يشير بذلك الى ما في « الصحيحين » عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق « إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل اليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات : بكتب رزقه ، واجله ، وعمله ، وشقي أو سعيد . . . » الحديث

فهو مشيئة الله تعالى النافذة ، وقدرته الشاملة ؛ وهو الإيمان بأن ماشاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وأنه مافي السموات والأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئة الله تعالى ، لايكون في ملكه ما لايريده سبحانه ، وأنه سبحانه وتعالى على كل شيء قدير من الموجودات والمعدومات ، فما من مخلوق في الأرض ولا في السماء ، الا الله سبحانه خالقه ، ولا خالق غيره ، ولا رب سواه . وقد أمر العباد بطاعته ، وطاعة رسوله ، ونهاهم عن معصيته ، وهو سبحانه يحب المتقين والمحسنين والمقسطين ، ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، ولا يحب الكافرين ، ولا يرضى عن القوم الفاسقين ، ولا يأمر بالفحشاء ، ولا يرضى لعباده الكفر ، ولا يحب الفساد ، والعباد فاعلون حقيقة ، والله خالق أفعالهم ، والعبد هو المؤمن ، والكافر ، والبر ، والفاجر ، والمصلي . وللعباد قدرة على أعمالهم ، وإرادة ، والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم ، كما قال : (لمن شاء منكم أن يستقيم . وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين) التكوير : ٢٨، ٢٩ وهذه الدرجة من القدر يكذب بها عامة القدرية الذين سماهم النبي ﷺ « مجوس هذه الأمة »[1] ويغلو فيها قوم من أهل الإثبات حتى يسلبوا العبد قدرته واختياره ، ويخرجونه عن أفعال الله وحكمها ومصالحها .

قوله : والجبر عندهم المحال الخ . . . اعلم أن أئمة السلف رحمة الله عليهم أنكروا الجبر . قال الخلال في كتاب « السنة » الرد على القدرية ،

---

(١) رواه أبو داود رقم (٤٦٩١) وفي سنده انقطاع ، ورواه أحمد في «المسند» وفيه ضعف . ورواه الآجري في كتاب « الشريعة » ص (١٩٠) وفيه ضعف أيضاً ولكن ربما كان بمجموع طرقه يصلح للاحتجاج .

وقولهم. إن الله أجبر العباد على المعاصي ، ثم روي عن عمر ، وابن عثمان عن بقية بن الوليد قال : سألت الزبيدي والأوزاعي عن الجبر ، فقال الزبيدي: أمر الله أعظم ، وقدرته أعظم من أن يجبر أو يعضل ، ولـــكن يقضي ، ويقدر ، ويخلق ، ويجبل عبده على ما أحب . وقال الأوزاعي : ما أعرف للجبر أصلاً من القرآن ، ولا السنة ، فأهاب أن أقول ذلك ، ولكن القضاء ، والقدر ، والخلق ، والجبل ؛ فهذا يعرف في القرآن والحديث عن رسول الله ﷺ ، وإنما وضعت هذا مخافة أن يرتاب رجل من أهل الجماعة والتصديق.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى : فهذان الجوابان اللذان ذكرهمـــا هذان الإمامان في عصر تابعي التابعين ، من أحسن الأجوبة .

أما الزبيدي محمد بن الوليد صاحب الزهري، فإنه قال : أمر الله أعظم، وقدرته أعظم من أن يجبر أو يعضل ، فنفى الجبر، وذلك لأن الجبر المعروف في اللغة ؛ هو إلزام الإنسان بخلاف رضاه ، كما يقول الفقهاء في باب النكاح : هـــل تجبر المرأة على النكاح ، أو لا تجبر ؟ وإذا عضلها الولي ماذا تصنع ؟ فيعنون بجبرها ، إنكاحها بدون رضاها واختيارها ، ويعنون بعضلها ، منعها مما ترضاه وتختاره . فقال : الله أعظم من أن يجبر أو يعضل ، لأن الله سبحانه قادر على أن يجعل العبد مختاراً راضياً لما يفعله ؛ ومبغضاً وكارهاً لما يتركه ، كما هو الواقع ، فلا يكون العبد مجبوراً على ما يحبه ويرضاه ويريده ، وهي أفعاله الاختيارية ، ولا يكون معضولاً عما يتركه فيبغضه ويكرهه ، أو لا يريده ، وهي تروكه الاختيارية .

وأمـا الأوزاعي : فإنه منع من إطلاق هذا اللفظ ، وإن عنى به هذا المعنى، حيث لم يكن له أصل في الكتاب والسنة ، فيفضي إلى اطلاق لفظ مبتدع ظاهر في إرادة الباطل ، وذلك لا يسوغ .

فان قيل : إنه يراد به معنى صحيح . قال الخلال : أنا أبو بكر المروذي قال : سمعت بعض المشيخة يقول : سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول : أنكر سفيان الثوري الجبر وقال : الله جبل العباد . وقال المروذي : أظنه أراد قول النبي ﷺ لأشج عبد القيس يعني قوله الذي في « صحيح مسلم » « إن فيك خلتين يحبهما الله : الحلم ، والأناة » فقال : أخلقين تخلقت بهما ، أو خلقين جبلت عليهما ؟ فقال : بل خلقين جبلت عليهما »[1] فقال : الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله . ولهذا احتج البخاري وغيره على خلق أفعال العباد بقوله تعالى : (إن الإنسان خلق هلوعاً . إذا مسه الشر جزوعا . وإذا مسه الخير منوعاً) المعارج : ١٩ - ٢١ فأخبر أنه خلق على هذه الصفة ، واحتج غيره بقول الخليل : (رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي) ابراهيم : ٤٠ وقوله : (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) البقرة : ١٢٨ وجواب الأوزاعي أقوم من جواب الزبيدي ، لأن الزبيدي نفى الجبر ، والأوزاعي منع إطلاقه ، إذ هذا اللفظ قد يحتمل معنى صحيحاً ، فنفيه قد يقتضي نفي الحق والباطل ، كما ذكر الخلال ماذكره عبد الله بن أحمد في كتاب « السنة » فقال : ثنا محمد بن بكار ، ثنا أبو معشر ، ثنا بن محمد بن كعب ، قال : إنما سمي الجبار ، لأنه يجبر الخلق على ماأراد ، فإذا امتنع من إطلاق اللفظ المجمل المشتبه ، زال المحذور ، وكان أحسن من نفيه ، وإن كان ظاهراً في المعنى الفاسد ، خشية أن يظن أنه ينفي المعنين جميعاً ، وهكذا يقال في نفي الطاقة عن المأمور ، فإن إثبات الجبر في المحظور نظير سلب الطاقة في المأمور ،

---

(١) رواه مسلم عن ابن عباس بلفظ «إن فيك خصلتين يحبهما الله : الحلم والأناة» وفي رواية لمسلم أيضاً « ان فيك لخصلتين ». ورواه بالزيادة التي في الكتاب أبو يعلى في مسنده وغيره.

وهكذا كان يقول الامام أحمد وغيره من أئمة السنة . قال الخلال : أنبأ الميموني قال : سمعت أبا عبد الله - يعني أحمد بن حنبل - يناظر خالد بن خراش ، يعني في القدر ، فذكروا رجلاً فقال عبد الله : إنما كره من هذا أن تقول : أجبر الله وقال : أنبأ المروذي ، قلت لأبي عبد الله : رجل يقول : ان الله أجبر العباد . فقال : هكذا لا نقول ، وأنكر هذا . وقال : يضل من يشاء ، ويهدي من يشاء . قال : أنبأ المروذي ، قال : كتب الى عبد الوهاب في أمر حسن بن خلف العكبري ، وقال : إنه تنزه عن ميراث أبيه . فقال : رجل قدري . قال : إن الله لم يجبر العباد على المعاصي ، فرد عليه أحمد بن رجاء فقال : ان الله جبر العباد على ما أراد ، أراد بذلك إثبات القدر ، فوضع أحمد بن علي كتاباً يحتج فيه ، فأدخلته على أبي عبد الله فأخبرته بالقصة ، فقال : ويضع كتاباً ؟! وأنكر عليهما جميعاً ، على ابن رجاء حين قال : جبر العباد ، وعلى القدري حين قال : يجبر ، وأنكر على أحمد ابن علي وضعه الكتاب ، واحتجاجه ، وأمر بهجرانه لوضعه الكتاب ، وقال لي : يجب على ابن رجاء أن يستغفر ربه لما قال : جبر العباد ، فقلت لأبي عبد الله : فما الجواب في هذه المسألة ؟ قال : يضل من يشاء ، ويهدي من يشاء . قال المروذي في هذه المسألة : إنه سمع أبا عبد الله لما أنكر على الذي قال : لم يجبر ، وعلى من رد عليه جبر . فقال أبو عبد الله : كلما ابتدع رجل بدعة اتسع الناس في جوابها ، وقال : يستغفر ربه الذي رد عليهم بحدثة ، وأنكر على من رد بشيء من جنس الكلام إذا لم يكن له فيها إمام تقدم . قال المروذي : فما كان بأسرع من أن قدم أحمد بن علي من عكبر ، ومعه مشيخة وكتاب من أهل عكبر ، فأدخلت أحمد بن علي على ابي عبد الله فقال :

يا أبا عبد الله هو ذا الكتاب ، ادفعه الى أبي بكر حتى يقطعه ، وأنا أقوم على منبر عكبر ، وأستغفر الله عز وجل . فقال أبو عبد الله لي : ينبغي أن يقبلوا منه ، فرجعوا له . وقد بسطنا الكلام في هذا المقام في غير هذا الموضع . انتهى كلام شيخ الاسلام .

قوله : واشهد عليهم أن إيمان الورى قول وفعل الخ . . . هذه المسألة من مسائل الأصول الكبار ، ومذهب أهل السنة والجماعة ، أن الإيمان تصديق بالجنان ، وعمل بالأركان ، وقول باللسان ، وأنه يزيد وينقص . وذهب جهم ، والصالحي ، والأشعري في المشهور من قوليه ، إلى أن الإيمان هو تصديق القلب . وذهبت المرجئة ، إلى أن الإيمان هو قول اللسان وتصديق القلب . وذهبت الكرامية ، إلى أن الإيمان هو تصديق اللسان فقط . قال الامام الشافعي رحمه الله في « الأم » : وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ومن أدركناهم يقولون : إن الإيمان قول ، وعمل ، ونية ، لاتجزىء واحدة من الثلاثة الا بالأخرى .

وقال أحمد بن حنبل رحمه الله : ولهذا كان القول ! إن الايمان قول ، وعمل عند أهل السنة ، ومن شعائر السنة .

وروى أبو عمر الطلمنكي بإسناده المعروف عن موسى بن هارون الحمال قال : أملى علينا اسحاق بن راهويه ، أن الايمان قول وعمل ، يزيد وينقص ، لاشك أن ذلك كما وصفنا ، وإنما عقلنا هذا بالروايات الصحيحة ، والآثار العامة المحكمة ، وأقوال أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين هلم جرا على ذلك ، وكذلك بعد التابعين من أهل العلم على شيء واحد ، لايختلفون فيه ؛